دير القديس أنبا مقار

إفخارستيا عشاء الربّ

قداس الرسل الأوّل
وهو نواه جميع القداسات

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

إفخارستيا عشاء الرب

قدَّاس الرسل الأوَّل
وهو نواة جميع القدَّاسات

الأب متى المسكين

كتاب: إفخارستيا عشاء الرب

قداس الرسل الأوَّل وهو نواة جميع القدَّاسات

المؤلف: الأب متى المسكين

الطبعة الأُولى: ٢٠٠٠

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.

صندوق بريد ٢٧٨٠ القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٧٢٧٩/٢٠٠٠

رقم الإيداع الدولي: 977-240-091-X

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

الفهرس

أولاً: كيف بدخول الأُمم حتّمت الضرورة بإقامة إفخارستيا مشروحة ٥

ثانياً: ليتورجيتان في مصر متمايزتان منذ العصر الرسولي ١٣

ثالثاً: إفخارستية عشاء الرب المسائية في مصر والتطورات التي مرَّت بها حتى استقرت كما هي ضمن الليتورجيا الصباحية ١٤

رابعاً: أبحاث جادة للعلماء وراء الإفخارستيا الضائعة ولكن دون أن يهتدوا إلى حقيقتها ٢٩

ملخَّص للأوصاف الصحيحة لإفخارستية أُورشليم البدائية المحفوظة في مصر، التي توصَّل إليها ليتزمان ٣٦

خامساً: الحقيقة الإفخارستية التي وراء كل هذه الأبحاث المضنية: ٤٥

١ ـ موضع إفخارستية "تقديم الحمل" داخل القداس القبطي الآن ٤٥

٢ ـ موقف إفخارستية "تقديم الحمل" من قداس الموعوظين ٤٧

٣ ـ انتقال إفخارستية تقديم الحمل (عشاء الرب) من المساء إلى الصباح ٤٩

٤ ـ إشارات عابرة تفصح عن أن ما يُسمَّى الآن بطقس تقديم الحمل هو بعينه " قداس الرسل " ٥٣

٥ ـ وضوح الاعتماد المطلق على "إفخارستيا تقديم الحمل" (عشاء الرب) في كل من إفخارستيا سيرابيون وإفخارستيا مرقس الرسول ٥٤

٦ ـ آثار إفخارستية عشاء الرب (تقديم الحمل) في كنائس البلاد الأخرى ٥٩

سادساً: ملاحظات ليتورجية على قداس تقديم الحمل ٦٥

أولاً: كيف بدخول الأُمم حتَّمت الضرورة بإقامة إفخارستيا مشروحة؟

يلزمنا هنا أن نستعيد في ذهن القارئ الأعمال والأقوال التي تَمَّت في "**إفخارستيا**" عشاء الخميس التي أقامها الرب مع تلاميذه، فصارت أساساً تلقائياً محتَّماً لكل إفخارستيا.

في عشاء الخميس أكمل الرب ثلاثة أعمال أساسية هامة جدًّا تعتبر الهيكل البنائي العام للإفخارستيا، هذه الثلاثة الأعمال مركَّبة على بعضها ومتداخلة وتكوِّن عملاً واحداً هو "ذبيحة شكر" = إفخارستيا.

العمل الأول: وهو طقسي:

وفيه مارس المسيح الطقس التقليدي المتعارف عليه في أيام المسيح في إقامة "وليمة المحبة"(١)، وهو عبارة عن كسر خبز ثمَّ عشاء ـ ثمَّ بركة (شكر) على الكأس، ثمَّ تسبيح ثمَّ انصراف.

العمل الثاني: وهو سرائري:

وفيه أعلن المسيح بعد البركة على الخبز وكسره وتوزيعه عن تحوُّل هذا الخبز إلى جسده. كذلك بعد أن شكر على الكأس أعلن عن تحوّل الخمر الممزوج في الكأس إلى دمه. ثمَّ أعطى لتلاميذه أمراً أو وصية أن يصنع التلاميذ هذا الإجراء السرائري في كل وليمة محبة ليكون "ذكراً" = "ذكارون" له. فاعتُبرت هذه الوصية تسليماً أبدياً لسرِّ المسيح.

العمل الثالث: وهو شرحي:

وفيه شرح المسيح لتلاميذه ليلة العشاء السرَّ الجديد القائم في الخبز المكسور المتحوِّل إلى جسده وسرّ الكأس الممزوج المتحوِّل إلى دمه، لا كأنه مجرَّد حديث على العشاء أو حديث ما بعد العشاء، ولكنه حديث يشرح صميم السرّ الذي استودعه الرب في الخبز والكأس.

وهذا "**الشرح**" اعتنى القديس يوحنا بتسجيله بدقة أكثر من تسجيل طقس العشاء نفسه، وذلك

---

(١) إن تاريخ "عشاء" الرب في الكنيسة القبطية وتسميته "بالأغابي" يحتِّم أن يكون طقس وليمة العشاء الذي استلمته الكنيسة هو "وليمة المحبة" المعروفة في الطقس العبري القديم، هذا بالإضافة إلى الإشارة الواضحة لنوع هذه الوليمة في إنجيل يوحنا ـ وهو الإنجيل المحبوب لدى الكنيسة القبطية منذ البدء ـ عند قوله: «أمَّا يسوع قبل عيد الفصح، وهو عالمٌ أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحبَّ خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى. فحين كان "العشاء"» (يو ١٣: ١و٢). إذن، فهو عشاء المحبة.

من بداية الأصحاح الثالث عشر حتى الأصحاح السابع عشر ـ أي منذ بدء الوليمة حتى القبض عليه! بالإضافة إلى أصحاح كامل سابق على ذكر العشاء وهو الأصحاح السادس.

ونحن لو تعمَّقنا في مراجعة ما قاله القديس يوحنا الرسول في هذه الأصحاحات تتضح أمامنا صورة ـ أول صورة ـ لشرح الإفخارستيا تصلح أن تكون قدَّاساً بالفعل، بل وربما أن تكون هي عناصر الإفخارستيا التي كان يمارسها يوحنا الرسول بالفعل.

ونحن نقدِّم هنا ملخَّصاً لكلمات هي من صميم الجزء المعروف بالتأسيس:

ـ هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت.

ـ أنا هو الخبز الحي النازل من السماء.

ـ إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.

ـ الخبز الذي أنا "**أُعطي**" هو جسدي الذي "**أبذله**" عن حياة العالم.

ـ إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم.

ـ مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.

ـ جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق!

ـ مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه.

هذا الكلام هو بحد ذاته ليتورجية وصفية يشرح فيها الرسول يوحنا بفم المسيح دقائق العمل الإفخارستي الذي تمَّ في عشاء يوم الخميس.

ويُلاحَظ أن هذا الشرح الإفخارستي لسرّ العشاء، ولو أنه قُدِّم للتلاميذ، لكنه في حقيقته موجَّه لكل العالم: «الخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله عن حياة العالم». إذن، فهذا الكلام موجَّه بالفعل إلى كل الأُمم ليفهموا السر الذي به يتحدون بالمسيح بالأكل من الجسد والشرب من الدم!

ثمَّ لا يمكن أن يفلت منا الأساس الذي وضعه يوحنا الرسول بفم المسيح الذي يقوم عليه سرّ الإفخارستيا كله: **وهو موت الرب الإرادي** «الخبز الذي أنا أعطي هو **جسدي** الذي **أبذله**».

فيوحنا يسجِّل تسجيلاً إنجيلياً واضحاً أن الإفخارستيا تقوم بالأساس على موت الرب، فتقديم الخبز والكأس هو هو تقديم ذبيحة الصليب = موت الرب.

وموت المسيح هو هنا بالسر تقديم الخبز والكأس أو هو التناول من "**الخبز الحي**" و"الدم **المحيي**".

وواضح غاية الوضوح من كلام يوحنا الرسول بفم المسيح:

١ ـ العلاقة بين [الأكل والشرب] وبين [الجسد والدم].

٢ ـ العلاقة بين [الأكل والشرب من الجسد والدم] و [الثبوت في المسيح].

٣ ـ العلاقة بين [الأكل والشرب من الجسد والدم والثبوت في المسيح] و [الحصول على الحياة الأبدية].

٤ ـ العلاقة بين [الأكل والشرب من الجسد والدم والثبوت في المسيح] و [الحصول على عدم الموت].

هذه المسلسلة تشكّل كل العناصر الأساسية في الإفخارستيا.

هذا الشرح بكل كلماته وبخبر حلول الروح القدس أصبح في ذهن التلاميذ جزءًا لا يتجزّأ من طقس إقامة وليمة العشاء بعد ذلك ـ أي أن "**الشرح التفصيلي لمعنى السرّ الإلهي**" القائم في الخبز المكسور المتحوِّل إلى جسد المسيح المكسور على الصليب، والسرّ الإلهي القائم في الخمر الممزوج المتحوِّل إلى دم المسيح المسفوك على الصليب، أصبح جزءاً طقسياً هاماً وأساسياً لا يتجزّأ من وليمة العشاء.

ونحن الآن، وبإزاء بدء الدخول في الليتورجيا الوصفية التي بنيت على أساس سر العشاء الأخير وبأوصاف من الرسل أنفسهم مستمدَّة من المسيح رأساً، نلفت نظر الباحث إلى العلاقة الوثيقة بين إنجيل يوحنا والعبارات الإفخارستية المدوَّنة في "الديداخي"(٢)، لأنه يبدو من البحث الجاد، أن كلاً من إنجيل يوحنا ووثيقة "الديداخي" من عصر زمني واحد، بل وربما تكون اليد التي كتبت الإنجيل اشتركت أيضاً في صياغة "الديداخي"!! بل ويقول العالِم(٣) C.H. Dodd إن يوحنا يشرح الديداخي في إنجيله، معتبراً أن كتابة الديداخي متقدِّمة على كتابة يوحنا لإنجيله.

ولكن على أي حال لا يصعب على الإنسان المدقّق أن يلمح الصلة الوثيقة بين الديداخي التي ترى في "**كأس العشاء**" سر "**كرمة داود**"، وبين إنجيل يوحنا الذي يعتني جدًّا أن يثبت الصلة بين "كأس **العشاء**" وقول المسيح: «**أنا الكرمة الحقيقية**» على العشاء!! وأن عن طريق **عصير الكرمة** يثبت المؤمنون في المسيح والمسيح فيهم ويثمرون!!

---

(٢) انظر هذه النصوص في كتاب الإفخارستيا والقداس صفحة ٢٩٩ـ٣٠١ من الطبعة الأولى وصفحة ٣١٩ ـ ٣٢١ من الطبعة الثانية.

(3) C.H. Dodd, *The Interpretation of the Fourth Gospel*, pp. 136-138, 410-412.

علماً بأن أول مَنْ شرح القول الذي جاء في الديداخي عن كرمة داود المقدَّسة أنها هي كأس الإفخارستيا هو القديس كليمندس الإسكندري(٤).

كيف التزم التلاميذ بهذه العوامل الثلاثة عند تسليم سر الإفخارستيا للكنيسة؟

كان ذلك بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين، حيث بدأ التلاميذ ترتيب اجتماعهم الأسبوعي معاً حسب الوصية، ليقيموا وليمة عشاء المحبة **"لذكر"** الرب كعمل طقسي أساسي في حياتهم الجديدة، حيث اعتاد التلاميذ على **حضور الرب نفسه بصورة مرئية أثناء كسر الخبز:** «الذين أراهم أيضاً **نفسه حيًّا** ببراهين كثيرة بعدما تألَّم وهو **يظهر لهم** أربعين يوماً ويتكلَّم عن الأمور المختصة بملكوت الله، **وفيما هو مجتمع**(٥) **معهم أوصاهم ...**»، «وأعطى أن يصير ظاهراً، ليس لجميع الشعب، بل لشهودٍ سبق الله فانتخبهم. لنا نحن الذين **أكلنا وشربنا "معه" بعد قيامته من الأموات.**» (أع ١٠: ٤٠و٤١)

١ – كيف أكمل التلاميذ العمل الأول (أي الطقسي)؟

بدأ التلاميذ في إقامة "عشاء الرب" ولم يجدوا في ذلك أية صعوبة من جهة الطقس، فهو بحسب التقليد القديم الذي استلموه والذي مارسه المسيح أمامهم بركة على الخبز ثمَّ كسر الخبز ثمَّ توزيعه، وعشاء. ثمَّ بركة على الكأس ثمَّ توزيعه، ثمَّ تسبيح، وانصراف. وبدأوا بإقامته في العلية ثمَّ في البيوت بعد ازدياد التلاميذ الذين ارتفع عددهم في يوم الخمسين من ١٢٠ تلميذاً إلى ثلاثة آلاف نفس بعد خطاب القديس بطرس.

٢ – كيف أكمل التلاميذ العمل الثاني (أي السرائري)؟

واجهت التلاميذ صعوبة بالغة منذ أول إفخارستيا أقاموها من جهة كيفية التعبير عن سريَّة الخبز المكسور باعتباره **"جسد المسيح"** والخمر الممزوج باعتباره **"دم المسيح"**، لأن المسيح في ليلة العشاء الأخير أكمل ذلك **بسلطانه وحده**، بدون أيَّة صلاة خاصة، إذ قال فجأة: «خذوا كلوا **هذا جسدي** – خذوا **اشربوا هذا دمي**». فالتحوُّل ليلة العشاء تمَّ "بكلمة الرب" نفسه، أو على وجه الأصح تمَّ "مع كلمة الرب" بدون صلاة، بدون دعاء، بدون شرح، بدون تعليل كيفية حدوث ذلك السر العميق والخطير، فقد تمَّ **بسلطان المسيح** الخاص، قال فكان.

---

(4) Clement of Alexandria, *Qui dives salvetur*, 29,4.

(٥) جاءت كلمة "مجتمع معهم" في طبعة بيروت في الهامش هكذا: «فيما يأكل معهم»، كما جاءت في الإنجيل الفرنسي Bible de Jérusalem ما ترجمته: «أثناء عشاء كان يشترك فيه معهم».

ولكن ماذا يفعل التلاميذ ليحقّقوا للشعب المتناول أن الخبزة الواحدة المكسورة هي جسد المسيح وأن كأس البركة التي يباركونها هي دم المسيح؟ (١كو ١٠: ١٦و١٧) ـ علماً بأن التقليد يحدِّد ما يقوله المترئّس على الخبز والكأس بكلمات محدودة مسلَّمة يستحيل على أي إنسان تغييرها أو إضافة كلمة واحدة أو حرف واحد عليها!

هنا أصبح من المحتّم على التلاميذ بعد أن يكمِّلوا كلمات الطقس أن يتوسَّلوا بصلاة خاصة من عندهم: "لحضور المسيح" حتى يجري هذا التحوُّل نفسه، وهذا الأمر قد اعتادوا عليه بالفعل عندما كان الرب يحضر في وسطهم عند اجتماعهم معاً لكسر الخبز في بداية خدمتهم على مدى أربعين يوماً، لذلك ليس غريباً ولا مستحدثاً أن يطلبوا حضوره في اللحظات نفسها التي كان قد اعتاد الظهور فيها معهم أثناء كسر الخبز وذلك لكي يجري بنفسه[٦] ـ أو بكلمته ـ هذا التحوُّل بسلطانه الخاص حسب وعده أيضاً[٧].

ومن الأمور المحتملة جدًّا أن يكون الرب قد استجاب بالفعل وتراءى لهم عدة مرَّات في هذه اللحظات[٨]، أي عند كسر الخبز ـ كما حدث لتلميذي عمواس ـ فكانوا يستجيبون لهذا الظهور بالسجود له في هذه اللحظة بخوف ورهبة، مما جعلهم يلتهبون جدًّا أثناء هذا الدعاء أو الاستدعاء Invocation = Epiclesis، ويعتبرون هذه اللحظة التي يحل فيها المسيح، إن ظاهراً أو سرًّا، لحظة رهيبة وحاسمة من جهة تقديس الإفخارستيا، حيث ظل السجود والخوف مقترنين بصلاة الدعاء هذه في التقليد المتوارث بعد ذلك على ممر مئات السنين حتى اليوم، حيث يهتف الشعب بأجمعه في هذه اللحظة قائلاً: [نسبِّحك. نباركك. نخدمك. نسجد لك] (القداس الباسيلي). أمَّا في القداس الغريغوري القبطي، فيقول الشماس: [اسجدوا للحمل كلمة الله] معلناً صدق الإيمان بحضور الرب في هذه اللحظة.

ومن الملاحَظ في الكنيسة القبطية أن طقس "كسر الخبز" المدعو بـ"قسمة" الجسد لا يزال حتى

---

(٦) في بعض الليتورجيات مثل ليتورجية القديس غريغوريوس القبطية تقول: "أنت يا سيدنا **بصوتك الخاص حوَّل** هذين الموضوعين". وهذه الجملة تكشف عن مقدار قدم الاستدعاء والتحوُّل بواسطة المسيح نفسه وبصوته أو **كلمته** الخاصة!

(٧) تحقيقاً لوعده: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠)، «مهما سألتم باسمي فذلك أفعله.» (يو ١٤: ١٣)

(٨) وإن البهجة التي كان يتناول بها المسيحيون الأوائل الطعام عند كسر الخبز كما هو مكتوب في سفر الأعمال ٢: ٤٦، كانت في الحقيقة بسبب إحساسهم اليقيني بحضرة الرب في وسطهم.

الآن ذا مكانة عالية جدًّا وسرية للغاية باعتباره ملازماً لحضور الرب (وإن كانت الأواشي قد باعدت بين القسمة وبين الاستدعاء والحلول)، ولا تزال إحدى صلوات القسمة تحمل معنى وحقيقة حضور الرب بهتاف وتهليل مبدع أثناء التقسيم حيث مطلعها كالآتي: [هوذا كائن معنا اليوم على هذه المائدة عمانوئيل إلهنا] (الخولاجي المقدَّس). وهذا يوضِّح الترابط العقائدي بين عمل القسمة (كسر الخبز) ولحظة حضور الرب، هذا الترابط الذي يضرب جذوره في التاريخ إلى حادثة تلميذي عمواس واستعلان حضرة الرب أثناء كسر الخبز وما ماثلها بعد ذلك من حضورات للرب مماثلة(٩).

٣ – كيف أكمل التلاميذ العمل الثالث، أي كيف نجحوا في شرح الإفخارستيا من داخل الطقس؟

واجه التلاميذ صعوبة تقديم شرح مناسب للشعب أثناء العشاء، بحيث يكون شرحاً حرًّا أثناء العشاء – أي بين كسر الخبز في أول الوليمة والبركة على الكأس في آخر الوليمة – وذلك بسبب انفصال الإفخارستيا عن وليمة الأغابي (العشاء)، حيث أخذت الإفخارستيا وضعاً سريًّا خالصاً مستقلاً (بدأ الرسل ممارستها في المساء مع خدمة جمهورية، ثمَّ تحوَّلت بعد ذلك إلى الصباح).

كذلك واجهوا صعوبة أخرى بسبب انتقال الإفخارستيا من وضعها المسائي (عشية السبت) الذي كانت تقام فيه مع العشاء، إلى وضعها الصباحي الملتحم بخدمة الصباح يوم الأحد، وذلك بسبب اتساع خدمة الصباح جدًّا مع دخول أفواج كبيرة من المؤمنين من الأُمم ونساء وأطفال، فلم تعد الإفخارستيا وليمة لعدد محدود من الأخصاء تُقام مساءً في جو عائلي يمكن فيه الشرح

---

(٩) [لقد لفت نظرنا العالِم دالمان Dalman ومن بعده العالِم J.P. Audet إلى أن الرب كان يجري البركة على الخبز بحسب التقليد القديم اليهودي، ولكن بصورة خاصة تميِّزه، ولابد أن تكون صلاة الإفخارستيا أي الشكر لها صلة أكيدة بذلك، ولكن قصة عمواس توجِّه نظرنا إلى مفهوم آخر، فبالرغم من أنه قيل: «فلمَّا اتكأ معهما أخذ خبزاً **وبارك وكسر** وناولهما فانفتحت أعينهما وعرفاه ثمَّ اختفى عنهما» (لو ٢٤: ٣٠و٣١)، إلاَّ أنه علينا أن لا نضع فكرنا على هيئة الرب الجسدية أو لهجة كلامه، لأن التلميذين ظلاَّ يرافقان الرب عن قرب أكثر من ساعة وهما يتحادثان معه وهو يتحدَّث إليهما وأخفقا في معرفته بالرغم من كل ذلك. إذن فمعرفة الرب كانت كومضة برؤيا داخلية، ولكن كيف ومتى؟ صحيح أن حادثة **"كسر الخبز"** كعمل ملموس تمَّت في لحظة معيَّنة، ولكنها كحدث تبقى كجزء منفصل ومتكامل مع الحالة التي قادت إليه، لأن هذا يعطيها قيمتها وأهميتها، أمَّا هذه الحالة فيمكن أن نلحظها من قصة عمواس في قول الرب: «لأنه **كان يليق بالمسيح أن يتألَّم** ثمَّ يدخل إلى مجده». القصة كلها تنتهي وتتركَّز عند هذه الحقيقة التي تثير اليقظة والتقوى، ولو لاحظنا لوجدنا أن التلميذين كانا بالفعل يتقدَّمان نحو هذه اليقظة قليلاً قليلاً على مدى تعليم الرب لهما وهو مقترب إليهما ويسير معهما مما جعلهما يشتعلان ويستنيران من وراء كل كلمة: «ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلِّمنا في الطريق ويوضِّح لنا الكتب.» (لو ٢٤: ٣٢)

وهنا يأتي "كسر الخبز" كطقس – هام جدًّا – استطاع بحد ذاته – بعد التأثير المناسب من تعليم الكتب (لاحظ هنا الترتيب الإفخارستي: قداس الكلمة ثمَّ كسر الخبز) أن ينقل التلاميذ مرَّة واحدة وبصورة فائقة من عالم الحواس إلى عالم الروح] Richardson, *op. cit.*, p. 310.

والتوضيح، بل أصبحت داخل خدمة الصباح في وسط جمهور كبير خليط من الأُمم لا يعلمون شيئاً بالمرَّة عن التقليد القديم ولا ما هو أصل هذا العشاء السرِّي.

هذا كله اضطر التلاميذ إلى وضع صيغة جديدة للإفخارستيا تشرح ما يتم داخل الإفخارستيا حركة حركة، أي كل حركة صنعها المسيح في صمت حسب التقليد قديماً وضعوا لها شرحها الوصفي ليسمعها الشعب كله حتى يفهم الشعب ماذا يتم أمام عيونهم. فبدل أن كان في طقس العشاء يمسك الرئيس(١٠) الخبزة بيده اليمنى ويضعها مردِّداً إيَّاها على يده اليسرى في صمت حسب الطقس القديم، بدأ الرسل يصفون هذا الإجراء بكلمات تشرح الطقس هكذا [وأخذ خبزاً على يديه ...]، حيث يلاحظ أنه لم يقل "على يده" بل "على **يديه**" حتى يوضِّح عملية التزديد الطقسية (الذبائحية) من يدٍ ليد(١١).

كذلك بدأوا يضعون الجمل التي تشرح ملابسات وزمن العشاء السري هكذا: [**لأنه في الليلة التي أُسلم فيها** ...].

كذلك بدأوا يشرحون الدقائق اللاهوتية الملازمة للعمل الطقسي مثل [وهو مزمع أن يسلِّم نفسه **عن حياة العالم**]، [**بإرادته وسلطانه وحده**]، [**يديه الطاهرتين** النقيتين اللتين بلا عيب]. [**يُعطي لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه**] ... إلخ

وواضح أن هذه الأوصاف والشروحات لم تكن موجودة قط في الطقس الأصلي لسر عشاء الخميس الذي أجراه الرب.

ولكن هذه الظروف التي حتَّمت على الرسل بوضع إفخارستيا مشروحة وموصوفة ليفهم الشعب الأُممي ما تمَّ ليلة الخميس وما يتم أمامهم الآن، هذه الظروف لم تأتِ مرَّة واحدة ولا بقدر واحد ولا في كرازة رسول واحد، بل جاءت على مراحل إنما في أزمنة متقاربة في أيام الرسل كلاً في مكان بشارته في أُورشليم ومصر وأنطاكية وروما، لذلك وصلتنا هذه الشروحات في صور ونماذج إفخارستية ومنذ العصر الأول متعدِّدة كل منها يحمل طابع ظروف وطنها وبيئتها التي نشأت فيه، ولكنها تحتفظ بوحدة الأصل والأساس الذي انبثقت منه - أي "**سر العشاء الأخير**". كما أنها تحتفظ بوحدة الهدف التي تهدف إليه - أي توصيل المفهومات التقليدية السرائرية في عشاء الخميس،

---

(١٠) كان المترئس على مائدة الرب في البداية الرسل ثمَّ بعدهم الأنبياء ثمَّ بعدهم الأساقفة ثمَّ الكهنة الآن.

(١١) (خر ٢٩: ٢٤، لا ٧: ٣٠؛ ٩: ٢١...)

التي كانت خاصة جدًّا بالبيئة اليهودية، لتكون في متناول فهم وممارسة كل الأُمم على مختلف بيئاتهم. فجاءت كل الإفخارستيات المبكّرة ذات هيكل عام موحَّد وإن اختلفت بعض الطرق والجمل في الشرح والتعبير.

وبذلك صارت الإفخارستيا الجديدة الرسولية التي تجرى أمام الشعب المجتمع معاً (سواء كان في المساء أو الصباح) عبارة عن تسجيل **وصفي** تاريخي مشروح لِمَا أتمّه الرب في العشاء الأخير إنما وُضعت بصيغة الماضي [أخذ خبزاً، وبارك، وكسر، وأعطى، وقال ...]، وفي صيغة الغائب: [لأنه في ما هو راسم أن يسلّم نفسه ...].

وهكذا نرى أن الظروف نفسها هي التي حتّمت وضع إفخارستيا وصفية مشروحة على أساس الإفخارستية العملية التي أجراها الرب في العشاء الأخير تشرحها كلمة كلمة إزاء كل حركة فحركة. فجاءت الإفخارستيا الوصفية شاملة لكل العناصر الأساسية والضرورية للإفخارستيا. لذلك انتشرت وسادت، وبقدر ما سادت الإفخارستيا الوصفية ضعفت وانكمشت إفخارستية عشاء الرب الصامتة.

ولكي تميِّز الكنيسة الإفخارستيا الوصفية عن إفخارستيا العشاء الأخير، أعطت الكنيسة للإفخارستيا الوصفية أسماء الرسل الذين صاغوها بحسب حاجة بيئة بلادهم. وهذا هو سرّ تسمية الإفخارستيا بأسماء القديس يعقوب والقديس مرقس والقديس تداوس (أداي وماري) ... إلخ، وبعد ذلك أعاد صياغتها الأساقفة بحسب ما جدَّ من المنازعات اللاهوتية، فسمِّيت بأسماء الأساقفة كيرلس (أُورشليم)، وكيرلس (مصر)، وباسيليوس (كبادوكيا)، ويوحنا ذهبي الفم (أنطاكية) وهكذا.

أمَّا إفخارستيا "**عشاء الرب**" فظلّت كما هي إجراءً صامتاً بحسب التقليد **موجَّها للابن** بصورة المخاطب؛ ليس فيها شرح أو تعليق قط ولكن ظلّت هذه الإفخارستيا التي للرب مختفية عن عين الكنيسة، غائبة عن ذهن العلماء حتى كشفها الرب لنا وسيأتي بيان ذلك.

ثانياً: ليتورجيتان في مصر متمايزتان منذ العصر الرسولي

من كل ما سبق، وكنتيجة منطقية، يتضح أنه كان يلزم حتماً أن توجد ليتورجيتان منذ العصر الرسولي:

الأُولى: ليتورجية تشمل إفخارستيا حسب التقليد القديم لعشاء الرب، ميزتها أنها خاصة اختيارية يجتمع حولها الأخصاء في بيت أو ربما في كنيسة، ليست لها صفة العمومية الجمهورية بل صفة الأحباء، يترأسها رسول أو نبي (حتى زمن "الديداخي" - سنة ١٠٠م) أو أسقف (حتى زمن الأسقف إغناطيوس الأنطاكي الشهيد - سنة ١١٥م) أو كاهن في ما بعد.

ولكن أهم ما في هذه الإفخارستيا أنها تكون تابعة للتقليد القديم وليس فيها أوصاف أو تسجيلات لحركات أو كلمات المسيح، ولكنها مطابقة عملياً في كل حركاتها وأقوالها لما عمله الرب، لذلك فهي بالضرورة محدودة مقفلة غير قابلة للإضافات، بصفتها امتداداً أو استمراراً لعشاء الرب نفسه، وباعتبارها الأساسية، كوليمة محبة تحمل سر الإفخارتسيا.

الثانية: ليتورجية تشمل إفخارستيا متطوِّرة على أساس إفخارستيا عشاء الرب مضافة إلى الخدمة الصباحية (أو المسائية)، وميزتها كما نراها الآن أنها أصبحت عامة ملزمة يلتزم الشعب بحضورها. فهي خدمة جمهورية لها الصفة الكنسية بمفهومها العام لا يمكن أن يقوم بها أسقف بمفرده أو كاهن بمفرده، فلابد من وجود كافة الرتب اللازمة للخدمة.

وأهم ما في هذه الإفخارستيا أنها وصفية تسجيلية تشرح ما تمَّ في إفخارستية عشاء الرب بدقة سواء من جهة الطقس أو اللاهوت، يتخللها سرد تاريخي عن التجسُّد والفداء وكل الأعمال الخلاصية التي أكملها الرب، وبذلك فهي مفتوحة للإضافات على ممر الزمن لتوافق عقيدة الكنيسة العامة في نموها ولتتمشَّى مع نصوص المجامع المسكونية.

ثالثاً: "إفخارستية" عشاء الرب المسائية في مصر والتطوُّرات التي مرَّت بها حتى استقرت كما هي ضمن الليتورجيا الصباحية(١٢)

توطُّن "إفخارستية" عشاء الرب في مصر حتى القرن الخامس:

بمجيء نهاية القرن الأول كانت قد توقَّفت الكنيسة في كل العالم عن إقامة الأغابي (العشاء) التي تتبعها إفخارستية الرب. وتوقفت بذلك إفخارستية العشاء نفسها وحلَّ محلها إفخارستية الخدمة الصباحية.

ولكن ظلَّت كنيسة مصر متمسِّكة بطقس "عشاء الرب" حيث يشمل عشاء الرب "وليمة المحبة" ثمَّ يتبعها "الإفخارستيا" كالتسليم الرسولي، وظلَّت الكنيسة في مصر فترة طويلة تقيم الأغابي قبل الإفخارستيا حسب تقليد عشاء الرب الأخير. وقد وصلنا هذا التقليد ثابتاً ومسجَّلاً في إفخارستية "الديداخي" سنة ١٠٠م(١٣).

ولكن يكشف لنا هذه الحقيقة بصورة أوضح كلٌّ من المؤرِّخين سوزومين وسقراط، فذكر كلٌّ منهما **أن المصريين ظلُّوا حتى القرن الخامس يقيمون الأغابي مع الإفخارستيا في كثير من الكنائس في الصعيد (طيبة) وكل مصر، حيث بقوا محافظين على طقس العشاء كما استلموه من مار مرقس، فكانت الإفخارستيا تُقام في المساء(١٤). كذلك ظلُّوا محتفظين بالتقويم اليهودي التقليدي القديم معتبرين أن مساء السبت (أي السبت ليلاً) وليس صباح الأحد هو بداية أول الأسبوع** ومبدأ يوم الرب "كيرياكي" (وهذا التقليد اليهودي لا يزال هو الساري حتى اليوم في الكنيسة القبطية والكنيسة الأثيوبية والكنيسة الأرمنية).

وقد كان اللاهوتيون والمؤرِّخون يدركون أن وضع كنيسة مصر في هذا الأمر فريد من نوعه،

---

(12) Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 4.

(١٣) راجع كتاب الإفخارستيا صفحة ٣٠٢ من الطبعة الأُولى وصفحة ٣٢٢ من الطبعة الثانية.

(14) Socrates, *H.E.*, V, 22; Sozomen., *H.E.*, VII, 19.

فقد علّق على ذلك ليس فقط المؤرِّخان سوزومين وسقراط، بل والقديس أغسطينوس أيضاً معتبراً أن هذا استثناء خاص دون كنائس العالم كله(١٥). وهذا هو السبب في بقاء طقس "إفخارستية" عشاء الرب حيًّا ومسجَّلاً وممارساً في الكنيسة القبطية حتى اليوم.

ولكن توجد وثيقتان توضِّحان أن وليمة الأغابي العامة في مصر بدأت تنتقل لتكون بعد الإفخارستيا، وذلك في الكنائس، منذ حوالي منتصف القرن الثاني.

الوثيقة الأُولى: من تسجيلات كليمندس الإسكندري، ننقلها هنا مرَّة أخرى:

[وفي حالة الأغابي **العامة** (أي التي كانت تُقام في الكنائس) كان الشمامسة يقومون أولاً بتوزيع الخبز المقدَّس والخمر المقدَّس (الإفخارستيا)، ثمَّ بعد ذلك العشاء (أي الأغابي) أيضاً كذلك، فالعشاء في هذه الحالة كان في مجمله **إفخارستيا ثمَّ أغابي** ـ فالذي كان يأكل كان يأكل للرب صانعاً إفخارستيا مع الرب، لأن الطعام الذي يؤكل بتقوى هو إفخارستيا](١٦).

والوثيقة الثانية: هي "الرسالة الرسولية" (١٤٠ـ١٧٠م)(١٧)

وفيها يصف الكاتب الإفخارستيا قبل الأغابي. ولكن في بلاد الحبشة ظلَّت الإفخارستيا فيها تأتي بعد الأغابي كما استلمتها من مصر منذ العصور الأُولى.

"إفخارستية" عشاء الرب "المسائية" في البيوت في مصر كان يصاحبها ليتورجية خدمة إلهية خاصة:

يعطينا كليمندس الإسكندري صورة فريدة للأغابي المنزلية الخاصة المرافقة للإفخارستيا المسائية في مصر في منتصف القرن الثاني، مما يزيح الستار أمامنا عن شكل الليتورجيا الأُولى لإفخارستية عشاء الرب المنزلية قبل أن تتطوَّر وتصير خدمة جمهورية عامة داخل الكنيسة:

[وكانت الأغابي العائلية في البيوت تتقدَّس بقراءة الأسفار والتضرُّعات والمزامير والتسابيح كصلوات عائلية، وهي التي كانت تجعل الطعام للشكر "إفخارستيا".](١٨)

وواضح أن هذه صورة لوليمة عشاء الرب تنتهي بإفخارستيتها حسب تسليم الرسل في

(15) S. Augustine, *Epist. ad Jan.* 1.5.

(16) Cited by Bethune-Baker, *Early History of Christian Doctrine,* p. 407.

(17) *Epistula Apostolorum,* Coptic and Ethiopic Texts with a German transl. by H. Duening, Bonn, 1925; English transl. in G. Horner, *The Statutes of the Apostles,* London, 1904.

(18) Bethune-Baker, *ibid.*

كنيسة مصر كاستمرار أو كامتداد لعشاء الخميس السرّي بكل تقليده القديم، ولكنها كانت وليمة خاصة داخل البيوت لها طابعها الخاص. وكانت في عرف كليمندس الإسكندري أن الإفخارستيا المقامة مع الأغابي في الكنيسة ينبغي أن يكون لها وقارها الفائق كطقس أعلى(١٩).

١ ـ ومن كلام كليمندس الإسكندري: [وكانت الأغابي العائلية في البيوت **تتقدَّس** بقراءة الأسفار ... إلخ]، نفهم أن الأكل، وبالتالي الخبز والخمر، يكونان موضوعين على المائدة قبل البدء بقراءة الأسفار والتضرُّعات والمزامير والتسابيح حتى يتقدَّسا بالقراءة والصلاة.

هنا يُلاحَظ أن **تقديم القرابين (بالمفهوم الكنسي) كان يسبق خدمة القراءة والصلاة والتسبيح بالمزامير، وهذا هو التقليد القائم حتى الآن في الكنيسة القبطية.** وهو مختلف عن طقس يوستين الشهيد الذي يجعل تقديم القرابين بعد القراءة والصلوات.

٢ ـ يقصد كليمندس الإسكندري بقراءة الأسفار: أسفار موسى الخمسة (الناموس)، ثمَّ الأنبياء، ثمَّ الرسائل، ثمَّ أعمال الرسل، ثمَّ الإنجيل. وهذا الترتيب ورد ضمن قوانين الرسل الكتاب الثامن (ليتورجية كليمندس).

ويعطينا العلاَّمة ترتليان تأكيداً بأن القراءات في الأسفار المقدَّسة وشرحها كانت جزءًا هاماً من الليتورجيا وتعتبر كمقدِّمة لها، ويسميها خدمة الكلمة(٢٠). ولكن القديس يوستين يعتبر القراءات والعظة جزءًا من خدمة الليتورجيا(٢١).

ولكن كليمندس الإسكندري يكشف لنا أكثر عن نوع الأهمية أو نوع العمل الذي يتم بقراءة الكلمة على الخبز والخمر في الإفخارستيا عندما يقول إن [**بالقراءة والصلاة يتقدَّس الطعام**]**!! هذا في الواقع يحتّم وجود الخبز والخمر على المائدة قبل بدء القراءة والصلاة.**

إذن يمكننا أن نتصوَّر **في القرن الأول، وبالذات في حضرة الرسل، كيف يبدأ المترئّس على الوليمة في اختيار ووضع الخبز والخمر اللذين سيجري عليهما القراءات والصلوات على المائدة قبل أن يبدأ القراءة والصلاة والتسبيح**، حيث هذا التسبيح ليس إلاَّ **تسبحة الشاروبيم وما يتبعها من ترديد المجد لله، كما هو حادث الآن تماماً في الكنيسة القبطية** في كافة الليتورجيات كترتيب

(19) Ibid.

(20) Tertullian, *De anima IX; De Cult. Fem.* II. 11, cited by Oesterley, *op. cit.*, p. 119.

(21) Justin, *Dial.*, cited by Oesterley, *op. cit.*, p. 118.

عام وثابت، مما يؤكّد أنه مأخوذ أصلاً من طقس العشاء التقليدي الرسولي الأول(٢٢) .

الصورة المحدَّدة "لإفخارستية" عشاء الرب وكيف بقيت في مصر منذ أيام الرسل:

من الأمور الملفتة للنظر أنه بالرغم من وجود عدة صور للأغابي منفردة كما سجَّلناها بنصوصها(٢٣)، إلاّ أنه لم يسجَّل لنا أي شيء بالمرة عن نصوص الإفخارستيا نفسها، أي كيف كان المترئس على الوليمة يقدِّس الخبز والخمر وماذا كان يقول أو يفعل؟

قد يتبادر إلى الذهن أن هذا بسبب سريَّة التعاليم الخاصة بالأسرار نفسها. أمَّا الأغابي فلأنها ليست تابعة للأسرار سجِّلت بكلماتها، ولكن الإفخارستيا بقيت في حيز التسليم السرِّي للكهنة فقط. هذا صحيح، ولكن أين هذا التسليم السري نفسه عملياً بالنسبة لهذه الإفخارستية العزيزة جدًّا والثمينة جدًّا التي هي التقليد الأول المسلَّم من المسيح والرسل؟

لم تجهل الكنيسة القبطية أهمية "تقليد إفخارستية" عشاء الرب أو تفرِّط فيها، كما لم تجهل أبداً أو تفرِّط أبداً في أي تقليد رسولي آخر؛ بل وأي كلمة رسولية تسلَّمتها.

ولكن حدث أنه بعد أن أكمل الرسل صياغة الإفخارستيا التي تصلح لعامة الشعب لتضاف على الخدمة الجمهورية، وذلك على أساس شكل إفخارستية العشاء إنما بمقولات وأوصاف وشرح بدلاً من وضعها الصامت، وذلك في كل حركة، أصبح لدى الرسل إفخارستيتان: إفخارستية أصيلة هي إفخارستية عشاء الرب الخاصة، وإفخارستية مشروحة هي إفخارستية ليتورجية الخدمة الجمهورية في الكنيسة (سواء بالمساء أو بالصباح).

ولكن لم يشأ الرسل أن يحذفوا الإفخارستيا الأُولى أو يستغنوا عنها، بل احتفظوا بها كاملة في الوضع الجديد في داخل ليتورجية الخدمة الجمهورية، احتفظوا بها بكل بركاتها المختصرة وحركاتها الصامتة وتسابيحها المحدودة جدًّا، ولكن في أضيق حيِّز ممكن من الإجراءات ومن الوقت أيضاً، وأدخلوها ضمن الليتورجية الصباحية وجعلوها بمثابة تقديم القرابين (الحمل) قبل البدء بالقراءات

---

(٢٢) أمَّا بخصوص طقس المائدة فقد ابتدأ منذ الأيام الأُولى العظيمة للمسيحية **"بكسر الخبز"** بعد الحضور في الهيكل مباشرة، وكان يراعى في **"كسر الخبز"** في البيوت أن يكون في ميعاد تقدمة ذبيحة المساء في الهيكل ... أمَّا الاجتماع الأسبوعي (مساء السبت) **فأصبح يتطلب بالضرورة ليتورجيا كاملة بدأت تتشكَّل على نمط طقس عشاء السبت**، وهكذا بدأت تتشكَّل الوليمة على أساس **"كسر الخبز" مع "كأس التذكار"** أي تذكار يوم السبت، وظل هذا الطقس (بالرغم من وجود كأس الخمر) يسمَّى في الكنيسة طقس كسر الخبز وذلك لمدة طويلة (Richardson, *op. cit.*, pp. 315-317).

(٢٣) انظر كتاب الإفخارستيا الباب الرابع صفحة ٢٧٦ـ٣٤٥ من الطبعة الأُولى وصفحة ٢٩٤-٣٦٦ من الطبعة الثانية.

والوعظ والصلوات، فاعتبرت كأنها مجرَّد **"وضع القرابين" على المذبح، ولكنها في الحقيقة هي الطقس الكامل للصعيدة المرفوعة في العشاء الأخير بكل مستلزماتها ونصوصها الليتورجية، وهي التي نسميها الآن في الكنيسة القبطية "تقديم الحمل".**

وهذا الإجراء تمَّ مبكّراً جدًّا وعلى أيدي الرسل أنفسهم، فقد وردت إشارات مبكّرة جدًّا في الليتورجيات الوصفية الأُولى المعتقد أن أصولها الأُولى من وضع الرسل مثل ليتورجية القديس مرقس الرسول وليتورجية سيرابيون. **وقد اعتبروا أن إفخارستية عشاء الرب المبدوء بها في أول الخدمة قبل القراءات هي أساس لليتورجيا التي تجيء بعدها. والمقصود من كلمة "أساس" هو أنها جزء من التقديس الفعلي للقرابين، وهذا سيجيء شرحه بعد ذلك بالتفصيل.**

"تقديم الحمل" في الكنيسة القبطية الآن هو جوهر النص السرِّي لإفخارستية عشاء الرب

والآن لكي يتحقَّق أمامنا أن ما يُسمَّى في الكنيسة القبطية الآن بـ"تقديم الحمل" هو طقس عملي كامل لإفخارستية كاملة في ذاتها، نضع أمام القارئ هذا الجدول، وهو مقارنة دقيقة بين ما يتم في تقديم الحمل الآن وبين ما يتم في إفخارستية القديس مرقس الرسول (القداس الكيرلسي)، حيث يظهر مقدار التطابق الكامل بينهما. ومنه سيتضح بصورة قاطعة أن طقس **"تقديم الحمل"** الآن ما هو إلاَّ **"إفخارستيا كاملة في حد ذاتها"**، ولا تقل في شيء في تركيبها الأساسي عن ليتورجية مرقس الرسول، ولكن احتُفظ بها داخل الليتورجيا الكبرى التي بدأ الرسل بوضعها لتكون إفخارستية عامة للشعب كشرح تفصيلي لإفخارستية عشاء الرب.

والجدول المذكور عبارة عن إفخارستيا مرقس الرسول (المعروفة بالقداس الكيرلسي) الموجودة في الخولاجي المطبوع، وأمامها وضعنا ما هو معروف الآن **بـ"تقديم الحمل" وهو الجزء الطقسي الذي يأتي في الخولاجي المطبوع قبل الثلاثة قداسات باعتباره جزءًا يُضاف على كل ليتورجية بمعنى "تقديم الحمل"، وهو في الحقيقة ـ كما سيتحقّق أمامنا ـ إفخارستية كاملة وهي الجزء السرِّي من عشاء الرب التي كانت تُجرى في العصر الرسولي الأول،** ولم يمكن الاستغناء عنها بعد تطوير الإفخارستيا وجعلها وصفية لتشرح حوادث ليلة العشاء، **وقد جعلها الرسل أنفسهم في البدء ـ قبل خدمة القراءة ـ كتقديس فعلي للقرابين كما أجراه المسيح تماماً:**

مقارنة بين إفخارستية مار مرقس (القداس الكيرلسي) وبين صلوات تقديم الحمل

إفخارستيا مار مرقس (القداس الكيرلسي) حسب الخولاجي المطبوع	صلوات طقس "تقديم الحمل" حسب الخولاجي المطبوع
صلاة الحجاب:	**صلاة** ـ بعد الاستعداد ـ هي صلاة **الحجاب**
تقدَّموا تقدَّموا كالترتيب ...	
ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشارق لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه (إشارة إلى ما تمَّ في طقس تقديم الحمل السابق).	
١ ـ غسيل اليدين: (ثلاث صلوات)	**١ ـ غسيل اليدين:** (ثلاث صلوات)
٢ ـ المقدِّمة:	**٢ ـ المقدِّمة:**
(أ) مستحق وعادل ... أن **نمجِّدك**	(أ) **مجداً** وإكراماً للثالوث المقدَّس (تسبيح فعلي مباشر)
(ب) نقرِّب لك معه ومع الروح القدس: هذه الذبيحة الناطقة	(ب، ج) عملية تقديم فعلي بدون وصف أو كلام
(ج) نقدِّم بخوراً على هذه الذبيحة وهذا القربان	
[أرقام ب، ج السابقة إشارة إلى طقس تقديم الحمل]	
٣ ـ الأواشي(١):	**٣ ـ الأواشي**(١):

(١) ملاحظات على الأواشي:

في إفخارستيا مار مرقس (الكيرلسي):

١ - صلواتها يتخلَّلها البخور.

٢ - كل الأواشي جاءت بصورتها العمومية. مما يدل على أنها داخل كنيسة عامة.

٣ - ذكر فيها الملك لأن الصلوات عامة للشعب وعلنية.

٤ - ذُكر فيها البطريرك والأساقفة لأنهم غالباً يكونون موجودين.

٥ - الأواشي مطوَّلة جداً لتشمل عموم ظروف المسيحيين.

٦ - قبل البدء بالتقديس (أي قبل " أ ") يُذكر أن الذي على المذبح ليس قرباناً ساذجاً بل ذبيحة حيَّة ناطقة، جسد ودم عمانوئيل إشارة إلى ما تمَّ سابقاً في طقس تقديم الحمل.

في طقس "تقديم الحمل":

١ - كل هذه الصلوات لا يتخلَّلها بخور إطلاقاً.

٢ - كل الأواشي جاءت بصورتها الخصوصية. مما يدل على أنها كانت أصلاً داخل بيت خاص.

٣ - لم يُذكر فيها الملك لأنها خاصة وغير عامة.

٤ - لم يُذكر فيها إلاَّ القائم بالخدمة فقط.

٥ - الأواشي مختصرة ومحدَّدة لأنها تشمل عدداً قليلاً جداً.

إفخارستيا مار مرقس (القداس الكيرلسي) حسب الخولاجي المطبوع	صلوات طقس "تقديم الحمل" حسب الخولاجي المطبوع
(أ) **السلامة:** للكنيسة والملك	(أ) **السلامة:** للكنيسة وصاحب القرابين
(ب) **المرضى:** مرضى شعبك وهذا المسكن	(ب) **المرضى:** صاحب القرابين وكل مَنْ يقدِّم أسماءهم
(ج) **المسافرين:** عن آبائنا وإخوتنا والذين يضمرون السفر	(ج) **المسافرين:** عن صاحب القرابين وكل الذين له (إفخارستيا خاصة)
(د) المياه ـ الزروع ـ الثمر ـ الملك (إفخارستيا عامة)	
(هـ) **المنتقلين:** الجمع كله	(هـ) **المنتقلين:** اسم صاحب القربان أو مَنْ له
الأوشية	+ في حضن إبراهيم وإسحق ويعقوب في فردوس النعيم
(و) **القرابين:** كافة الذين قدَّموا أصحاب الكثير وأصحاب القليل	(و) **القرابين:** الذين قرَّبوا والذين قُدِّمت عنهم والذين قُدِّمت بواسطتهم
(ز) البطريرك والأساقفة والكهنوت	
(ح) الموضع + القيام هنا +	
(ط) **الموصين:** اذكر يا رب الذين أوعزوا إلينا أن نذكرهم في صلواتنا وطلباتنا	(ط) **الموصين:** اذكر يا رب كل الذين أوصونا أن نذكرهم في سؤالاتنا وطلباتنا
(ي) **الخديم:** اذكر يا رب نفسي الضعيفة الشقية	(ي) **الخديم:** (ذُكر سابقاً) قبل بجداً وإكراماً: اذكر يا رب ضعفي أنا المسكين
(ك) **الاجتماعات:** عن اجتماعنا هذا وكل اجتماعات الشعوب الأرثوذكسيين	(ك) **الاجتماعات:** اذكر يا رب عبيدك المسيحيين الأرثوذكسيين كل واحد باسمه وكل واحدة باسمها
(ل) **الطلبة:** حلّ المربوطين وخلّص الذين في الشدائد ... صائراً حارساً وساتراً علينا في كل شيء	(ل) **الطلبة:** عن الذين في شدة أو ضيق أو سجن احرسهم بملاك سلامة وخلّصهم من جميع ضيقاتهم
٤ ـ التسبيح الذي يسبق رسم السر:	**٤ ـ التسبيح الذي يسبق رسم السر:**
(أصلاً تتبع تسبحة خدمة الصباح)	(أصلاً تتبع تسبحة بداية يوم الفصح مساءً)
(أ) مقدِّمة التسبحة الشاروبيمية: [لأنك أنت هو الله الذي فوق كل رياسة]	+ [هلليلويا هذا هو اليوم الذي صنعه الرب ... مبارك الآتي باسم الرب] وهو يُقال في هذه الإفخارستيا فقط ولا يُقال بعد ذلك في الإفخارستيا الوصفية مما يؤكِّد أن قدَّاس الحمل هو قداس الرب وقدَّاس يوم الأحد.

إفخارستيا مار مرقس (القداس الكيرلسى) حسب الخولاجي المطبوع	صلوات طقس "تقديم الحمل" حسب الخولاجي المطبوع
(ب) التسبحة الشاروبيمية: [قدوس. قدوس. قدوس]	وهو المزمور الذي كان يُقال في **بدء ذبح خروف الفصح**، حيث كان الشعب كله يرد على فرق اللاويين شطرة شطرة.
(ج) وصلة التسبحة الشاروبيمية ببداية التقديس: [السماء والأرض مملوءتان ... املأ هذه **الصعيدة .. الذبيحة**]	
(د) [قرابينك هذه **المكرّمة** المبدوء (السابق) وضعها]	على أن **التسبحة الشاروبيمية يقولها الشماس في نهاية صلاة الصلح**
٥ – رسم السر = (التأسيس أو القانون)	**٥ – رسم السر = (التأسيس أو القانون)**
هنا شرح ما عمله الرب بصورة تاريخية وصفية	هنا تكرار ما عمله الرب بصورة واقعية عملية بدون وصف.
يقول الكاهن: [لأنه **في الليلة** التي أسلم فيها ذاته ليتألّم] – علماً بأن الوقت نهارٌ	الوقت هنا أصلاً هو في المساء.
	طقس "عشاء" فهو تطبيق عملي بدون وصف
(أ) **على الخبز:** [أخذ خبزاً على يديه ونظر إلى فوق] هنا فعل ماضي بصفة الغائب	(أ) **على الخبز:** الكاهن يأخذ الخبز على يديه بدون كلام.
	دعاء للتقديس باسم الثالوث:
وشكر وبارك وقدّسه في الفعل الماضي بصيغة الغائب للوصف	[**مبارك** الله الآب ضابط الكل مبارك ابنه وحيد الجنس يسوع المسيح ربنا مبارك الروح القدس البارا كليت] تبريك عملي فعلي للثالوث في صميم الحاضر
الاعتراف بالثالوث مؤجَّل حتى إلى ما بعد الحلول.	هنا البركة المثلثة تعتبر **اعترافاً بالثالوث.**
لا يُقال هنا [القدسات للقديسين] بل توجَّل إلى ما بعد تقديس الكأس	وهنا يؤكّد الطقس على أنه تمَّ الآن تقديس الجسد، وذلك من مرد الشماس:
	الشماس: [واحد هو الآب القدوس واحد هو الابن القدوس واحد هو الروح القدس] هذا المرد يُقال في القداس الوصفي عندما يُقال [القدسات للقديسين]
مرد الشعب بالذوكصا المثلثة مؤجَّل لما بعد اعتراف الكاهن	الشعب: [المجد للآب والابن والروح القدس]

إفخارستيا مار مرقس (القداس الكيرلسى) حسب الخولاجي المطبوع	صلوات طقس "تقديم الحمل" حسب الخولاجي المطبوع
(ب) **على الكأس:** [هكذا الكأس أيضاً بعد **العشاء**] هنا لا يوجد عشاء بالمرَّة وهذه الإشارة توضِّح أن تقديس الكأس جاء بعد مدَّة طويلة من تقديس الخبز	(ب) **على الكأس:** هنا تبدأ صلاة الشكر الأخيرة على كأس البركة، في نهاية العشاء. يبدأها الكاهن بـ**"السلام لجميعكم"** وهذه إشارة إلى أن الشكر على الكأس يجيء كعمل منفصل عمَّا قبله (العشاء) بعد مدة طويلة من تقديس الخبز
+ [**ومزجها من خمر وماء**] (لا يمزج شيئاً بل يصف عملاً سابقاً) هنا يظهر بوضوح أن القدَّاس وصفي يشرح شيئاً تمَّ سابقاً	الكاهن **يملأ الكأس من الخمر والماء** بدون كلام أو شرح
وشكر **وبارك** **وقدَّسها** } أفعالها كلها في الماضي (دون ذكر ماذا قال في هذا الشكر) - وبصيغة الغائب تشرح تقديساً تمَّ سابقاً	تبدأ **صلاة الشكر** بنصها التي هي صلاة الإفخارستيا على كأس البركة في يوم السبت، بمخاطبة الله الآب مباشرة [لأنه: أتى بنا **إلى هذه الساعة** (ساعة الدخول في اليوم الجديد) ويحفظنا في هذا **اليوم المقدَّس:** (يوم السبت الذي صار الآن الأحد)
٦ ـ **التذكار:** [كل مرَّة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشِّرون بموتي وتعترفون بقيامتي ... إلخ] فالتذكار هنا يقوم على شرح ما تمَّ في العشاء الأخير. على أساس ما عمله المسيح على الصليب والقبر والقيامة (لذكري)	الطقس هنا ليس تذكارياً بل هو نفسه **"عشاء الرب"** أي كل ما عمله الرب في عشاء يوم الخميس بدون شرح ولا تعليق ولا نسبته إلى ما تمَّ على الصليب والقبر والقيامة (هو نفس عشاء الرب)
٧ ـ **الاستدعاء:** (أ) [**أرسل إلى أسفل من علوك المقدس** ومن مسكنك المستعد ومن حضنك غير المحصور الباراكليت روحك القدوس علينا نحن عبيدك	٧ ـ **الاستدعاء:** (أ) أيها السيد الرب يسوع المسيح الشريك الذاتي وكلمة الآب غير الدنس المساوي مع الروح القدس **أنت هو الخبز الحي النازل من السماء**
(ب) وعلى هذه القرابين التي لك المكرَّمة **السابق**	(ب) **وسبقت أن تجعل ذاتك حملاً بغير عيب عن**

إفخارستيا مار مرقس (القداس الكيرلسي) حسب الخولاجي المطبوع	صلوات طقس "تقديم الحمل" حسب الخولاجي المطبوع
وضعها أمامك على هذا الخبز، وعلى هذه الكأس]	حياة العالم. أظهر وجهك على هذا الخبز وعلى هذه الكأس هذين اللذين وضعناهما على هذه المائدة الكهنوتية التي لك
(ج) لكي يتطهّرا وينتقلا	(ج) باركهما + قدسهما + طهّرهما وانقلهما
(د) هذا الخبز يجعله جسداً مقدّساً للمسيح	(د) لكي هذا الخبز يصير جسدك المقدّس
(هـ) وهذه الكأس أيضاً دماً للعهد الجديد الذي له	(هـ) والمزيج الذي في هذا الكأس يصير دمك الكريم
(و) ليكون لنا جميعاً نحن الآخذين منه	(و) ليكونا لنا جميعاً
(ز) إيماناً، ومحبة، وصبراً، ورجاءً، وحراسة، وعافية، وفرحاً	(ز) ارتقاءً وشفاءً وخلاصاً
(ح) وتجديداً للنفس والجسد والروح	(ح) لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا
(ط) ومجداً لاسمك القدوس	(ط) لأنك أنت هو إلهنا يليق بك المجد
(ي) ومشاركة سعادة الحياة الأبدية وعدم فساد وغفراناً للخطايا	(ي) جاءت في مرد سابق هكذا: يقول الشماس: [اطلبوا لكي يرحمنا الله ويجعلنا مستحقين أن نتناول من شركة أسراره المقدّسة المباركة، لمغفرة خطايانا]
٨ – مقدّمة القسمة:	
[هو أيضاً فلنسأله أن يجعلنا مستحقين لشركة "وتناول" أسراره الإلهية غير المائتة]	
٩ – السجود:	٩ – السجود:
للجسد والدم – الكاهن والشماس والشعب	الكاهن والشماس والشعب (سقط من الخولاجي ذكر السبب)
١٠ – القسمة	١٠ – (رُفعت تماماً ووضعت في القداس الوصفي)
١١ – صلاة أبانا الذي	١١ – نهاية صلاة الشكر:
لا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير	ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير
١٢ – أحنوا رؤوسكم للرب لقبول الحل	١٢ – يسجد الجميع لقبول الحل
	(أ) أيها السيد الرب يسوع المسيح إلهنا

إفخارستيا مار مرقس (القداس الكيرلسي) حسب الخولاجي المطبوع	صلوات طقس "تقديم الحمل" حسب الخولاجي المطبوع
(أ) **أيها السيد الرب الإله**	(ب) **الذي قطع كل رباطات خطايانا**
(ب) **أنت الذي قلت لأبينا بطرس**	(ج) **تحليل الخدّام**
(ج) **يذكر الخدام وكل فئات الشعب**	(عام)
١٣ – أواشي:	**١٣ – أواشي:**
السلام والآباء والاجتماعات (بعد التحليل)	**السلام والآباء والاجتماعات** (بعد التحليل مباشرة)
١٤ – سوتيس آمين:	**١٤ – سوتيس آمين:**
[خلصت حقًّا مع روحك]	**[خلصت حقًّا مع روحك]**
١٥ – فلننصت بخوف الله:	**١٥ – فلننصت بحكمة الله:**
١٦ – القدسات للقديسين (بعد التحليل يصير الشعب قديسين):	١٦ – المرد الخاص بها قيل بعد تقديس الخبز مباشرة
واحد هو الآب القدوس	واحد هو الآب القدوس
واحد هو الابن القدوس	واحد هو الابن القدوس
واحد هو الروح القدس	واحد هو الروح القدس
١٧ – الاعتراف:	**١٧ – الاعتراف:** للكنيسة كلها (بعد القراءات)
بالنسبة للاهوت المسيح وناسوته	بالنسبة للإيمان كله (قانون الإيمان)
١٨ – سلام ومحبة يسوع المسيح مع جميعكم:	**١٨ – صلاة الصلح. والقبلة المقدّسة:**
الشعب يتقدَّم للتناول كل واحد في دوره	بروسفارين بروسفارين
	[تقدَّموا تقدَّموا حسب الترتيب] (للتناول أصلاً)
١٩ – مَنْ كان طاهراً فليتقدَّم	١٩ – مَنْ كان طاهراً فليتقدَّم
٢٠ – [رتّلوا **بنشيد** صلوا يا رب **ارحم**]	٢٠ – [**رحمة** السلام ذبيحة **التسبيح**]

من هذه المقارنة يتبيَّن لنا عدة أمور هامة:

أولاً: أن "**تقديم الحمل**" هو ليتورجية إفخارستية بمعنى الكلمة لا ينقصها أي عامل من عوامل الإفخارستيا، وأهمها في الأساس تقديس الخبز والخمر والاستدعاء للتحويل.

ثانياً: أنها إفخارستيا عملية وليست وصفية، فليس فيها أية إشارة إلى إفخارستية عشاء الرب،

والسبب في ذلك هو أنها هي إفخارستية عشاء الرب.

ثالثاً: ليس فيها التذكار (الأنامنيسس) أي «اصنعوا هذا **لذكري**» لسبب بسيط وهو أنها عملية وتقيم التذكار عملياً وليس وصفياً. فإن إقامتها في المساء وفي أول ساعات يوم الأحد (مساء السبت بعد الساعة السادسة مساءً) يعطيها تلقائياً صفتها الفصحية كذبيحة قيامة، هذا بجوار اسمها التقليدي "عشاء الرب" كيرياكون κυριακὸν δεῖπνον (١كو ١١: ٢٠) أي وليمة الرب في يوم الرب κυριακῇ ἡμέρᾳ (رؤ ١: ١٠) كما تصفها "الديداخي" إمعاناً في حصرها في معنى التذكار:

κατὰ κυριακὴν δὲ κυρίου συναχθέντες

"حينما تجتمعون في كل يوم للرب (أي كل يوم أحد) الذي للرب"

رابعاً: ليس بها "**قسمة**"، والسبب بسيط وهو أن القسمة والأكل والشرب رفعت منها لتضاف إلى الإفخارستيا الوصفية التي تأتي بعدها لتكمِّل ما تأجَّل من الأُولى ليكونا معاً إفخارستيا واحدة.

خامساً: لا يوجد فيها أوشية للملك ولا للبطريرك ولا للأساقفة. والسبب في ذلك هو أنها في عشاء الخميس كانت تخلو من ذلك. كما أنها في وضعها البدائي كانت خاصة تُقام داخل منزل لجماعة أحباء لم تلتزم إلاَّ بالصلوات المحلية من أجل أصحاب القرابين والذين لهم من أحياء وأموات ومرضى ومسافرين ومن كانوا في شدة.

سادساً: لا يدخلها أي ذكر للبخور. وهذا يكشف عن قدمها السحيق قبل أن يدخل البخور الكنيسة في الخدمة (وذلك ابتدأ تقريباً منذ القرن الرابع حسب تحقيق العلماء وعلى أقصى تقدير أيام البابا بطرس خاتم الشهداء ـ السابع عشر في عداد البطاركة).

سابعاً: واضح أمامنا أن **إفخارستيا مرقس الرسول تشير دائماً أبداً إلى أنه قد سبقها "وضع" للقرابين على المائدة، ولكنه ليس مجرَّد وضع بل هو "وضع تقديسي"**. فقبل أن يبدأ الكاهن بالصلاة أصلاً وقبل أن يقول [الرب مع جميعكم]، كذلك في رقم ٢ب، ٤د، ٧ب، يشير الكاهن إلى الخبز والخمر أنهما جسد ودم المسيح، بل وتعتبرهما **الإفخارستيا** المشروحة **أنهما "هذه الذبيحة الناطقة"**. علماً بأن إفخارستيا مرقس الرسول تقول هذا في مقدِّمة الليتورجيا قبل أن تدخل على التقديس (أو بالحري "**وصف**" التقديس). وهذا قد حيَّر العلماء الذين درسوا الليتورجية القبطية مما جعلهم يظنون أن مجرَّد وضع القرابين

على المذبح يعتبر ذبيحة تلقائياً عند الأقباط. وقد وقعوا في هذا الخطأ بسبب عدم اكتشافهم للإفخارستيا المختفية في طقس وضع القرابين.

ولكن هذه الإشارات المتتالية تؤكّد لنا **أن إفخارستيا مرقس الرسول تدري تماماً أنه قد سبقها تقديس فعلي، وأنها تعتمد على هذا التقديس السابق**، وأصبح دورها الأساسي بعدئذ هو وصف هذا التقديس الذي تمَّ وتكميله بالقسمة ثمَّ التناول (الشركة). وهذا يكشف لنا أن **تركيب إفخارستية مرقس الرسول هو مبني أساساً على أن تصبح مع "تقديم الحمل" "إفخارستية واحدة كبرى"** تحوي التقليد السرِّي الأصيل لإفخارستية عشاء الرب وشرحها معاً. ولهذا يصف الآباء الأوائل الإفخارستيا بوضعها الحالي أي الطقس الأصلي لسر العشاء مضافاً إليه طقس شرح الإفخارستيا أنها "**الإفخارستيا الكبرى**"(٢)، مما يوحي بكل تأكيد أنه يوجد في ذهنهم صلاة إفخارستيا أصغر أو أقل حجماً داخل الإفخارستيا الكبرى.

ولكن ليست إفخارستيا مرقس الرسول (القداس الكيرلسي) وحدها هي التي بنيت على هذا الأساس، لأننا نجد نفس الوضع في إفخارستيا سيرابيون التي سيأتي الحديث عنها، وهي إفخارستيا قبطية صميمة، إذ تقول **قبل التقديس وقبل الحلول** وهي تشير إلى الخبز والخمر اللذين وضعا على المذبح (بعد تقديم الحمل بكل تأكيد) تقول هكذا: [يا رب القوات **املأ هذه الذبيحة** بقوتك وشركتك، **لأننا قدَّمنا هذه الذبيحة الحية، والصعيدة غير الدموية**]. و[قدَّمنا لك هذا الخبز مثيلاً لجسد الوحيد، مثيلاً للجسد المقدَّس، نحن نصنع مثال موته، نقدِّم لك هذا الخبز ونتضرَّع إليك أن **بهذه الذبيحة "تتصالح"** معنا جميعاً وتكون رحيماً].

وهذا مما جعل العالِم الليتورجي ليتزمان(٣) يقول إنه في كنيسة القرون الثلاثة الأُولى كان يوجد ثلاثة أنواع من الذبائح:

النوع الأول: ذبيحة الصلوات (أي الأواشي)،

النوع الثاني: ذبيحة مجرَّد **وضع** الخبز والخمر على المذبح،

النوع الثالث: الفعل السري على المذبح على مستوى موت المسيح ومثاله (كما يقول سيرابيون).

وكذلك العالِم جون ماسون نيل، فقد استرعى انتباهه ليس فقط الإشارة إلى الخبز والخمر

(2) Athanasius, *Ad nuper baptizatos*, PG 26, 1325.

(3) Lietzmann, *op. cit.*, p. XIV, 68.

بصفتهما "**ذبيحة**" قبل التقديس، بل وطلب استدعاء حلول الروح القدس على "**الذبيحة**"، بدل أن يكون الاستدعاء للحلول على "**الخبز والخمر**"؟ وخرج من ذلك بقوله: [إن عائلة الليتورجية الإسكندرانية سواء كانت لمار مرقس أو القديس كيرلس لها صفة خاصة في صلاة استدعاء حلول الروح القدس. والنظرية التي تقوم عليها يبدو لي كما هو الحادث في جميع الليتورجيات أنه يوجد فيها ازدواج في الصعيدة، أي صعيدتان (في الليتورجيا الواحدة):

الأولى: بالخبز والخمر، **والثانية:** بجسد ودم المسيح.

ومن أجل هذا وُجد أنه من المناسب أن يكون هناك ازدواج أيضاً في الاستدعاء - أي استدعاءان: **الأول:** على الخبز والخمر، **والثاني:** على الجسد والدم.

بهذا التصوُّر تكون كل قوة التحول قد تركّزت على كلمات التأسيس Institution، وحينئذ تكون ليتورجية الإسكندرية بهذا الوضع قد تقاربت من طقس روما. وهذا ما كنا نتوقّعه دائماً.][٤]

وبهذا يكون هذا العالِم المدقّق قد تقارب جدًّا مع الحقيقة دون أن يضع يده على سرِّ هذا الازدواج ومكانه، أي لم يعثر على الصعيدة الأُولى الأساسية - صعيدة التقديس على الخبز والخمر التي بدونها لا يمكن أن تفهم الليتورجيا.

والذي جعل هؤلاء العلماء يظنون خطأ أن **بمجرَّد وضع** الخبز والخمر على المذبح يصيران "ذبيحة" هو أن إفخارستيا قوانين الرسل "الكتاب الثامن" تقدِّم الخبز والخمر على المذبح في صمت وبدون صلوات خاصة بالتقديم، كما أن الطقس الروماني جعلها أيضاً في صمت. أمَّا قدَّاس القديس باسيليوس وقدَّاس القديس يوحنا ذهبي الفم عند الروم فقد جمع لصلاة "**التقديم**" عدة صلوات من مواضع مختلفة من الإفخارستيا نفسها. فصار تقديم القرابين ليس له الصفة التقديسية المميِّزة[٥].

ولكن أي دارس مدقّق لو أعاد النظر في موضوع التقديم offertory في كل من الطقس السرياني أو البيزنطي، فإنه حتماً سيجد آثاراً واضحة جدًّا لليتورجيا كاملة تحمل طقس التقديم الأصيل الذي كان على مستوى "إفخارستية" عشاء الرب، التي كانت بدون صلوات وصفية جانبية، والتي كانت تقوم أساساً على حركات شبه صامتة حسب التقليد القديم.

(4) John Mason Neale, *op. cit.*, p. 472.

(5) Leitzmann, *op. cit.*, Fasc. II, pp. 68ff.

ولكن الاكتشاف الأعظم أهمية من كل ما عداه في هذه المقارنة التي قدَّمناها في الجدول السابق، هو أن إفخارستية مرقس الرسول تتبع طقس **"تقديم الحمل"**، أي تتبع **"إفخارستية"** عشاء الرب في كل ترتيبها من الوجهة العملية والتنسيقية المحضة. ثمَّ من الواضح أيضاً أن الصلوات التي جاءت في إفخارستية عشاء الرب البسيطة البدائية هي التي أوحت بكل الصلوات المطوَّلة التي جاءت في إفخارستية مرقس الرسول، وسيأتي شرح ذلك بالتفصيل. ولكن نركِّز الآن على أن **"تقديم الحمل"** أو "إفخارستية" عشاء الرب هي في الحقيقة والواقع النواة الأُولى الكاملة التي تركَّبت منها ثمَّ تركَّبت عليها ليتورجية مرقس الرسول، أو على وجه الأصح جميع ليتورجيات العالم الوصفية بدون استثناء قط. **فـ"تقديم الحمل أو إفخارستية عشاء الرب" في الطقس القبطي تقف وحدها كنموذج أول وفريد** للإفخارستية. وفي مقابلها تقف جميع ليتورجيات العالم كنموذج آخر، أي تأتي لإفخارستية أخرى متطوِّرة عنها وعلى أساسها.

رابعاً: أبحاث جادة للعلماء وراء الإفخارستية الضائعة ولكن دون أن يهتدوا إلى الحقيقة

كان رائد هذه الأبحاث العالِم ليتزمان الذي اتجهت أنظاره بإصرار نحو الطقس القبطي معتبراً أنه يحوي طقس أُورشليم الأول.

وإليك خلاصة دراساته في هذا الموضوع الذي هو موضوع بحثنا أيضاً:

[إن وراء ليتورجية سيرابيون يوجد ـ بصورة قاطعة ـ طقس آخر ليس مأخوذاً (أي ليس متطوِّراً) من العشاء الأخير (أي ليس حسب تسجيل الأناجيل). هذا الطقس هو الممارسة الفعلية لتلاميذ أُورشليم، **وقد حُفظ في مصر وحدها** ـ لأن بولس الرسول لم يفد إلى هذه البلاد ـ على أن كل الطقوس الأخرى التي ليست ذات أصول مصرية فإنها ترجع إلى ليتورجية هيبوليتس الذي يتبع أصلاً آخر للإفخارستيا يقوم على أساس **تذكار** للعشاء الأخير نشره بولس الرسول.][1]

هنا يستقرئ ليتزمان من وراء ليتورجية سيرابيون المصرية طقس ليتورجية أخرى هي ليتورجية أُورشليم الأصلية. ولكن ما هو طقس أُورشليم؟

[المشكلة تحتّم علينا أن نسأل هل دخل مع طقس **"كسر الخبز"** الذي كان يمارسه جماعة التلاميذ في أُورشليم على وجه التحقيق طقس آخر له صلة **بتذكار** العشاء الأخير أقاموه تذكاراً للرب؟

لا يوجد أمامنا ما يقودنا إلى هذا.

مع أننا نجد هذا الطقس الثاني منتشراً في كنائس بولس الرسول منذ البدء، فهل نشأ هذا الطقس على تربة بلاد اليونان أولاً، ثمَّ انتشر بين مسيحيي الأُمم عموماً، ثمَّ ساد في النهاية على الكل؟ بينما بقيت آثار الطقس الأُولى محفوظة أساساً في الأوساط التي ظلَّت تحت تأثير المسيحية اليهودية (أي اليهود المتنصرين)؟

إننا نعلم بالدليل المحسوس أن القطر الوحيد الذي بقي فيه هذا الطقس الأول (طقس

---

(1) Leitzmann., *op. cit.*, p. XX.

أُورشليم) هو مصر، وذلك إلى وقت متأخّر، بالرغم من تراكم الطقس الثاني عليه حتى أخفاه. على أن مصر هي البلد الوحيد الذي لم يزره بولس الرسول وبالتالي لم تنشأ فيها كنائس تتبع بولس الرسول.][٢]

هنا يوضّح ليتزمان بالتأكيد أنه يوجد طقسان للإفخارستيا: **طقس أُورشليم الأول** الذي أسماه طقس كسر الخبز، وطقس آخر أسماه **طقس تذكار العشاء** وليس العشاء نفسه.

وبدأ ليتزمان يسأل هل الرسل أنفسهم هم الذين أقاموا هذين الطقسين؟

ووقف حائراً عند هذا الحد إذ ليس أمامه ما يدله على أن جماعة تلاميذ أُورشليم أقاموا بالفعل هذين الطقسين. واعتقد خطأً أن بولس الرسول هو المسئول عن هذا الطقس الثاني، أي الطقس التذكاري، عن العشاء الأخير.

وفي هذا قد أخطأ ليتزمان:

أولاً: إذ اعتبر أن طقس إفخارستية أُورشليم الذي دعاه طقس "كسر الخبز" كان يخلو من الكأس، أي أن الإفخارستيا التي كان يقيمها جماعة تلاميذ أُورشليم لم يكن فيها كأس الإفخارستيا - أي الدم.

وتصحيح ذلك أن طقس عشاء الرب كان يدعى طقس كسر الخبز، لأن أول إجراء فيه كان هو كسر الخبز. فلمَّا رُفعت الأغابي رُفع معها كسر الخبز (الذي كان يسبقها)، وانضم كسر الخبز مع الكأس، فجاء الشكر (الإفخارستيا) في أول الطقس فسُمِّي الطقس بالإفخارستيا (الشكر) بدل "كسر الخبز". ومعروف أن التلاميذ جميعاً أقاموا السرّ على أساس الجسد والدم. والقديس متى الرسول يشدِّد في إنجيله بوضوح على أن الكأس - أي الدم - هو لمغفرة الخطايا. وهذا نعلمه تماماً أن "بدون سفك دم لا تحدث مغفرة" حسب الناموس القديم (عب ٩: ٢٢).

أمَّا **الخطأ الثاني** الذي وقع فيه ليتزمان، فهو اعتقاده "بأن الطقس التذكاري الثاني مختلف تماماً عن الطقس الأول وأنه من وضع بولس الرسول نفسه بإلهام من المسيح"[٣].

والحقيقة أن الطقس الثاني هو الطقس الأول بنفسه إنما مشروحاً وموصوفاً ومُضافاً إليه كل

(2) *Ibid.*, p. 207.

(3) Leitzmann., *op. cit.*, p. 208.

المعاني الليتورجية السرية التقليدية واللاهوتية التي يحويها الطقس الأول، ولكن دون أن يشير إليها. ويستحيل على أي إنسان كان من كان أن يضع هذا الطقس الثاني المتركّب بدقة وحكمة وفهم، عن دراية بكل ما تمَّ في العشاء الأخير، إلاَّ الرسل أنفسهم تلاميذ أُورشليم الذين عاينوا سر العشاء الأخير وفهموه واستوعبوا أعماقه الإلهية السرية.

أمَّا الوقائع التي نجح فيها ليتزمان من جهة الكشف عن هذا الطقس الأورشليمي الأول ومن جهة احتفاظ مصر بهذا الطقس دون كافة بلاد العالم، فقد كان هو في ذلك رائد البحث الليتورجي قاطبة، لأنه أول مَنْ وضع يده على النظرية بدقة بالغة دون أن يكون تحت يده المادة المسجَّلة التي يستند عليها. فكان مثله في ذلك مثل علماء الفيزياء physics الذين ينجحون في التعرُّف على معدن من المعادن ويصفونه بدقة قبل أن يكتشفوه بالفعل.

ليتزمان يصف طقس أُورشليم الأول المحفوظ في مصر بدقة بالغة دون أن يعثر عليه:

في نهاية التحليل الذي يقدِّمه ليتزمان عن الشكل الأصلي لليتورجيا المصرية الأُولى، ينتهي إلى التقرير الآتي:

[(أ) إن التقليد المصري الأصيل (فيما قبل أنافورا سيرابيون) لا يعرف قط التلاوة الكلامية لرواية التأسيس (كأن يقول: أخذ خبزاً على يديه ... وهكذا بعد العشاء أخذ كأساً ... إلخ).

(ب) وهذا الطقس يتكوَّن من الحوار (بين الكاهن والشعب: الرب مع جميعكم. وارفعوا قلوبكم. وفلنشكر الرب)، ثمَّ المقدِّمة (حيث المقدِّمة هي ما يتبع "مستحق وعادل" حتى "التسبحة الشاروبيمية").

(ج) ثمَّ التسبحة الشاروبيمية Sanctus، وبعدها

(د) الاستدعاء Epiclesis.

(هـ) على أن مفهوم هذا الطقس هو من جهة أنه ذبيحة ينحصر في عملية وضع القرابين على المذبح والصلاة التي تُقال عليها. وبهذا تتكوَّن **"الذبيحة"**، **"الحيَّة"**، "غير الدموية" لدى المسيحيين.

(و) وهذا يعني أن هذه الليتورجية لا تربط العشاء بالموت كتذكار يسوع في العشاء الأخير.

(ز) وهذا يدعِّمه غياب التذكار من هذا الطقس جملة.

(ح) وقد ظلَّ التذكار غائباً عن هذا الطقس حتى إلى زمن متأخّر (عندما جاءه من تربة أخرى بتأثير بولس الرسول كمحاولة لبلوغ الكمال).

(ط) وبهذا أصبحت ذبيحة العشاء صورة لذبيحة الجلجثة.

(ي) ولكن في مواجهة هذا الطقس البدائي لليتورجية المصرية التي بلغنا إليها بهذه الطريقة يقابلنا سؤال حرج: هل يمكن أن يوجد طقس عشاء لا يوجد فيه أي إشارة للعشاء الأخير ولموت الرب؟](٤)

[إن التأسيس Institution مع التذكار Anamnesis الذي يعتمد أصلاً على التأسيس ذاته، يُحتمل أن يكونا غير موجودين أصلاً في الليتورجية المصرية القديمة التي على أساسها وُضعت ليتورجية سيرابيون.](٥)

وهنا يعتبر هذا الحدس في غاية الدقة والصحة، ولكن الأصح هو أن الليتورجية المصرية القديمة تخلو من **كلمات** التأسيس **وكلمات** التذكار. أمَّا التأسيس والتذكار فيستحيل أن يغيبا قط عن الإفخارستيا وإلاَّ لا يمكن أن تحسب إفخارستيا "عشاء الرب".

في هذا التقرير الحدسي (التنبُّؤي) عن الليتورجية القبطية الأُولى المسلَّمة من تلاميذ أُورشليم والمعتبرة أنها ليتورجية الممارسة الأُولى للكنيسة، سواء في أُورشليم أو مصر:

١ ـ نجح ليتزمان في إعطاء أهم ملامح صورة إفخارستية عشاء الرب المحفوظة في مصر (في البند رقم: " أ ") الذي يقول فيه إنها كانت "بدون رواية" أي لا تقوم على وصف ما قام به المسيح أثناء تأسيس السر).

٢ ـ ولكن لَّما بدأ ليتزمان يتدرَّج في وصف هيكل الإفخارستيا العام خرج عن الحقيقة عندما قال في "**ب**" إنها تبدأ بالحوار المعروف [الرب مع جميعكم ـ ارفعوا قلوبكم ـ فلنشكر الرب]، لأن هذا الحوار مستحدث في الإفخارستيات المتطوِّرة، وهو مأخوذ أصلاً من بداية الأغابي(٦) فلمَّا رُفِعَتْ الأغابي من أمام الإفخارستيا، التزم واضع الإفخارستيا المتطورة أن يضيف إليها في البداية

(4) Leitzmann., *op. cit.*, p. 160.

(5) Ibid., pp. 193, 194.

(٦) انظر كتاب الإفخارستيا صفحة ٣٢٧ من الطبعة الأُولى وصفحة ٣٤٧ من الطبعة الثانية حيث تجد هذا الحوار في طقس الأغابي الذي يصفه هيبوليتس.

حوار الأغابي.

أمَّا إفخارستية أُورشليم التي احتفظت بها مصر، فهي غير متطوِّرة، فمن غير المعقول أن تأتي فيها صلاة الإفخارستيا (الشكر) في البداية، بل يتحتَّم أن تأتي في مكانها الأصيل على الكأس، لذلك وجب أن لا يكون فيها هذا الحوار الذي هو بادئة صلاة الإفخارستيا.

٣ ـ كذلك عندما يتكلَّم ليتزمان عن المقدِّمة التي تأتي بعد [مستحق وعادل] فهو يسترسل في وصف الليتورجيا المتطوِّرة، وهذا لا ينطبق على ليتورجية أُورشليم البدائية.

٤ ـ أمَّا عن التسبحة الشاروبيمية Sanctus فهي جزء أصيل من خدمة الصباح والمساء في السيناجوج (المجمع) أصلاً وليست من صميم جسم الإفخارستيا، وهي لم تدخل الليتورجية المصرية إلاَّ في الإفخارستية المتطوِّرة التي التحمت بخدمة الصباح.

وليتزمان نفسه يقرِّر ذلك في موضع آخر بقوله:

[الطقس المصري الأكثر بداءة كان يخلو من كل من مقدِّمة التسبحة الشاروبيمية والتسبحة ذاتها.][٧]

٥ ـ أمَّا من جهة الاستدعاء فهو أصيل فعلاً في ليتورجية أُورشليم بلا نزاع، ولكن ليس هذا مكانه، فهو لا يأتي قبل البدء بالإفخارستيا بأي حال من الأحوال.

٦ ـ وبخصوص وضع القرابين على المذبح كونه بحد ذاته يجعل الخبز والخمر ذبيحة، هذا خارج عن المنطق التقليدي الليتورجي جملة وتفصيلاً سواء المنطق اليهودي أو المنطق المسيحي على السواء. وإن كان ليتزمان يقول هنا تحت رقم "هـ" إن الذبيحة تنحصر في وضع القرابين على المذبح والصلاة التي تُقال عليها، فهو هنا لا يحدِّد ما هي هذ الصلاة. كذلك فإنه في أماكن أخرى من أبحاثه يقرِّر أن من خصائص التقليد الليتورجي الشرقي أن **بمجرَّد** وضع الخبز والخمر على المذبح يصيران ذبيحة[٨].

ولكن سيتبيَّن في الصفحات القادمة ما هو وضع القرابين على المذبح وما يحمله من طقس ليتورجي كامل.

٧ ـ **في أرقام " و "، " ز "** يرى ليتزمان أن الليتورجية المصرية الأُولى المسلَّمة من أُورشليم سقط

(7) Ibid., *Intro.*, p. XVIII.

(8) Ibid., p. XVII, 157.

منها التذكار، أي لا يذكر فيها "اصنعوا هذا لذكري". كذلك لا يذكر فيها موت الرب، أي "كلما أكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكأس تبشرون بموت الرب إلى أن يجيء".

والصحيح في ذلك هو أن التذكار Anamnesis هو من أهم خصائص الليتورجية المتطوِّرة؛ أمَّا ليتورجية أُورشليم فهي لا تصف موت المسيح ولا تذكره بالكلام، وذلك لأنها ليتورجية عملية. فهي ليست "تذكار عشاء الرب" بل **"عشاء الرب"**، وليست وصفاً وبشارة كلامية بما تمَّ على العشاء من جهة تذكار الرب **بل هي بحد ذاتها "ذبيحة المسيح الحية"، وهي بحد ذاتها "فعل" تذكار وليست "كلمة" تذكار، وهي بحد ذاتها إنجيل "يؤخذ"** وليست بشارة تقال.

٨ - رقم "ح". يقول ليتزمان أن التذكار دخل الليتورجيا المصرية المسلَّمة من أُورشليم في عصر متأخّر.

ولكن الصحيح في ذلك أنه لم يدخل هذه الليتورجية البدائية أي تذكار، وظلَّت كما هي حتى اليوم كما هو مبيَّن في الجدول صفحة ٢٢.

أمَّا دخول التذكار فكان في الليتورجيا المتطوِّرة ومنذ البدء أيضاً، وذلك كشرح موضوعي لإفخارستيا التقليد الأُورشليمي الأَولي.

٩ - رقم "ط": يقول ليتزمان أن بهذا أصبحت ذبيحة العشاء في ليتورجية مصر المسلَّمة من أُورشليم صورة لذبيحة الجلجثة.

والصحيح أنها ليست صورة لذبيحة الجلجثة بل ذبيحة الجلجثة إنما في "سر".

والسبب المباشر الذي جعل ليتزمان يخطئ في هذا معتبراً أنها مجرَّد صورة هو بالطبع ما جاء في ليتورجية سيرابيون عند قوله في تقديم الخبز **"مثيلاً للجسد المقدَّس"**، وعند تقديم الكأس **"مثيل الدم"**، وعند ذكر موت الرب يقول: **"نصنع مثال موته"**.

ولكن فات على ليتزمان أن ليتورجية سيرابيون بجملتها هي ليتورجية متطوِّرة أي وصفية، فهي **تصف** ما تمَّ في العشاء في التقديم الصامت. أمَّا فعل التقديم نفسه فواضح أنه يقوم على أساس تقديم جسد المسيح ودم المسيح، أي تقديم ذبيحة الجلجثة ذاتها للآب. فواضح جدًّا في قداس القديس باسيليوس أن القداس يبلغ ذروة معناه وقيمته العملية والروحية في قوله: [نقدِّم لك هذه القرابين التي لك على كل حال ولأجل كل حال وفي كل حال.] (مقدِّمة الاستدعاء)

وليس أدل على ذلك من قول سيرابيون: [ونحن إذ نصنع مثال موته، نقدِّم هذا الخبز ونتضرَّع

إليك أن **بهذه الذبيحة تتصالح معنا كلنا وتكون معنا رحيماً** أنت الإلـه الحقيقـي]. وهـل يمكـن أن تكون هناك ذبيحة للمصالحة مع الآب إلاّ ذبيحة الجلجثة؟ أمّـا أي صـورة لذبيحـة الجلجثـة فهـي لا تصلح قط للمصالحة مع الله الآب. ولا ينبغي أن يغيب عـن بالنـا قـط أن المسيح لمّـا أخـذ "الخبز" وباركه وقسمه، قال: **خذوا هذا هو "جسدي المكسور لأجلكم"**.

والقديس سيرابيون لم يضع بنفسه هذا النص الإفخارستي، فهو تقليد رسولي احتفظـت بـه مصـر منذ البدء، نقرأه بغاية القوة والوضوح في كتابات أوريجانوس: [إن المسيح هو الكاهن الحقيقي الـذي **دمه جعل الله يتعطّف علينا، ويصالحنا مـع الآب، وأن هـذا التذكـار (الإفخارسـتيا) وحـده هـو الذي جعل الله يتعطّف على الإنسان.**][9]

١٠ - **رقم "ي"**: وسؤال ليتزمان بخصـوص الليتورجيـة المصريـة البدائيـة المسـلّمة مـن أُورشـليم واندهاشه من خلوها من أية إشـارة للعشـاء الأخـير ومـوت الـرب، فـالرد علـى ذلـك أنهـا ليسـت ليتورجية متطوِّرة عن العشاء الأخير حتى تلتزم بالإشـارة إلى مصدرهـا الـتي أخـذت عنـه، بـل هـي نفسها العشاء الأخير، وذلك باعتبار حضور الرب فيها. فالعشاء الأخير أصبح حدثاً إلهياً موروثـاً في الكنيسة، لا كتراث يوصف، بل كحقيقة حيَّة تُعاش، يؤمِّن دوامها واستمرارها حضور الرب نفسـه كمذبوح وقائم من الأموات. وحضور الرب، فالذي يؤمِّن وجوده في العشاء هو صـلاة الاسـتدعاء، وصلاة الاستدعاء تقوم على وصية الـرب: «حيثمـا اجتمـع اثنـان أو ثلاثـة بـاسمي فهنـاك أكـون في وسطهم.» (مت ١٨: ٢٠).

(9) Origen, *in Lev. Hom.* IX, 10, XIII, 3, PG XII (2) 523, 547, cited by Richardson, in Leitzmann., *op. cit.*, p. 276.

ملخّص للأوصاف الصحيحة لإفخارستية أُورشليم البدائية المحفوظة في مصر، التي توصَّل إليها ليتزمان

١ ـ إن طقس أُورشليم المحفوظ في مصر ليس متطوِّراً من العشاء الأخير (لا يعتمد على تسجيلات الأناجيل عن العشاء الأخير).

٢ ـ هذا الطقس هو الممارسة الفعلية لتلاميذ أُورشليم، وقد حُفظ في مصر وحدها (طقس رسولي).

٣ ـ إن التقليد القديم الذي يقوم عليه هذا الطقس لا يعتمد على الرواية، أي لا يستخدم تلاوة (أي وصف) الكلمات التي جاءت في "رواية التأسيس" في الأناجيل.

٤ ـ يعتمد هذا الطقس على "**وضع**" القرابين على المذبح كعمل ذبائحي (على نوع ما).

٥ ـ هذا الطقس لا يستخدم كلمات التذكار.

٦ ـ لا يوجد في هذا الطقس مقدِّمة للتسبحة الشاروبيمية ولا التسبحة نفسها Sanctus.

٧ ـ لا يوجد في هذا الطقس كلمات للتأسيس أو كلمات للتذكار.

٨ ـ إن هذا الطقس هو الأصل الذي أخذت عنه ليتورجية سيرابيون وغيرها.

أمَّا علاقة "قداس عشاء الرب" هذا بالأنافورا ـ أي "القداس الصعيدة"، فهي واضحة غاية الوضوح في أنافورا سيرابيون، حيث الطقس الذي تقوم عليه الأنافورا واضح أنه طقس تذكاري(١٠)، لأنه قدَّاس وصفي على أساس أنه سبقه تقديس عملي للقرابين وتمَّ تحوُّلها إلى جسد ودم، فأصبح قداس سيرابيون (أو أي قداس آخر) هو رفع هذه الصعيدة "رفع الجسد والدم" إلى الآب. وهذا هو صميم معنى التذكار.

وبهذا يتراءى أمامنا أن القداس الوصفي كان ضرورة حتمية لتكميل أمر الرب «اصنعوا هذا ـ [الخبز المتحوِّل إلى جسد والخمر المتحوِّل إلى دم = قداس عشاء الرب] ← لذكري» [رفع الجسد والدم إلى الآب تذكاراً حيًّا لذبيحة حية أبدية].

وتأكيداً لهذا تقول أنافورا القديس غريغوريوس القبطية قبل التقديس وقبل حلول الروح القدس هكذا: [أنت الذي أعطيتني هذه الخدمة المملوءة سرًّا، أعطيتني "**إصعاد جسدك**" بخبز وخمر].

(10) Richardson, *op. cit.*, p. 420.

العالِم ريتشاردسن يكمِّل ملامح الصورة التي وضعها ليتزمان عن طقس أُورشليم المحفوظ في مصر

جاء العالِم ريتشاردسن وله نفس اهتمام ليتزمان من جهة الكشف عن الأصول الأُولى لليتورجية عامة، فقاده البحث هو الآخر إلى أن موطن ليتورجية أُورشليم الأُولى هو الشرق عامة وليس في مصر وحدها كموطن أصيل لليتورجيا الأُولى. ولكن أبحاثه ركَّزت على مصر خاصة. فقد أشارت إلى أن أصالة الليتورجيا في مصر تنبع من أصالة موازية لدراستها للأناجيل المقدَّسة، إذ احتفظت مصر بأصح النسخ وأدقها قاطبة(١١). وأبحاث ريتشاردسن ليست مستقلة عن أبحاث ليتزمان، فهي تعتمد عليها اعتماداً كلياً.

يقول ريتشاردسن:

[إن التقليد الإفخارستي الأول الذي يبدو متأثّراً فكرياً بالرمزية من جهة الخبز والخمر (كمثيلين للجسد والدم) لم يستوطن مصر وحدها، ولكن ظل القوة المسيطرة في كل الشرق أثناء تطوير الليتورجيا. ومن خصائصه أن التأسيس Institution فيه ليس هو القطب الموجِّه لليتورجيا، ولا يبدو من سياق الترتيب أنه ذو أهمية مطلقة. وإن ما ذكر من هذا الطقس يمكن تتبعه من القرن الخامس حتى القرن الثاني. ومن جهة أخرى، فإن الطقس الروماني قد تأسَّس فعلاً على كلمات التأسيس التي رتبها الرب، وهو أيضاً له تاريخ يمكن تتبعه عندما ظهر أولاً في القرن الثاني وإن كان في كثير من عدم الوضوح.

ولهذا أصبح من الملحّ جدًّا أن نبحث هل يوجد إذن طقس للعشاء من القرن الأول يكون هو الذي انبثق منه هذان الطقسان؟ الأول حسب جنس الطقس الشرقي، والثاني حسب جنس الطقس الغربي؟](١٢)

هنا لا يزيد ريتشاردسن شيئاً على سابقه، ولكنه ينبِّه أن كلا الطقسين الشرقي والغربي منبثقان

---

(١١) انظر كتاب الإفخارستيا صفحة ٤٠٩و٤١٠ من الطبعة الأُولى وصفحة ٤٢٩و٤٣٠ من الطبعة الثانية وأيضاً:
Richardson, *op. cit.*, pp. 221,222.

(12) Richardson, *op. cit.*, p. XX, XXI.

من طقس واحد عاش في القرن الأول أي طقس أُورشليم.

كما يضيف أن ما يفصل طقس الشرق عن الغرب ويجعلهما ذوي جنسين متمايزين هو التأسيس، ففي الشرق لا يأخذ في الليتورجيا وظيفة التقديس الكبرى، أمَّا في الغرب فكل القيمة التقديسية في الليتورجيا واقعة عليه.

هذا في الواقع تمادٍ مبالغ فيه نشأ عن عدم فهم واقع الليتورجيا الأُولى، أي طقس أُورشليم المحفوظ في مصر، فالتأسيس - أي كلمات الرب التي قالها على الخبز والخمر - هو، في طقس أُورشليم أصلاً، مركز التقليد القديم. ولكن لأن الرسل في ليتورجيتهم الأُولى التي بدأوا يمارسونها في أُورشليم بعد صعود الرب كانوا يمارسونها حسب تقليدهم القديم المعتاد دون أن يشرحوا أثناء البركة على الخبز والكأس ما شرحه المسيح، ظهرت الليتورجية وكأنها بدون تأسيس - أي بدون كلمات الرب - **مع أنهم كانوا يعتمدون في تقديس الخبز والخمر على حضور المسيح**(١٣) الذي يجعل البركة على الخبز والبركة على الكأس مستمدَّة من العشاء الأخير. بمعنى أن التأسيس الذي أجراه المسيح في العشاء الأخير هو بحضور الرب ساري المفعول على كل عشاء، فما عليهم إلاَّ أن يتمِّموا الطقس حسب التقليد القديم ويباركوا على الخبز والخمر فقط. والرب بحضوره **"يجعلهما جسده ودمه كالتأسيس"** أو **"بمقتضى التأسيس"**، وإلاَّ فلماذا سُمِّي بالتأسيس؟

أمَّا الاستدعاء فهو أصلاً لحضور المسيح (استدعاء اللوغس حسب الطقس القبطي) حيث حضور المسيح يتوقَّف عليه تقديس الخبز والكأس، أو بمعنى أوضح يتوقَّف عليه تكميل "التأسيس" على مستوى العشاء الأخير. أي أن الاستدعاء Epiclesis هو لتدعيم التأسيس Institution - فكل اهتمام أو تكرار للاستدعاء هو مردود لحساب التأسيس وليس محاولة لتجاوز أهميته.

لذلك اهتم الطقس القبطي بجعل الاستدعاء يأتي أحياناً قبل التأسيس، هذا إمعاناً في الاهتمام بالتأسيس وضمان وصله بالعشاء الأخير.

ولكن لم يبدأ الرسل في ليتورجيتهم الأُولى في أُورشليم باستخدام طقس صلاة الاستدعاء Epiclesis إلاَّ بعد مدَّة طويلة، لأن الرب كان يحضر ويتراءى لهم من نفسه في الأيام الأُولى. ولمَّا بدأ

---

(١٣) كما هو حادث في إفخارستية "تقديم الحمل": [أظهر وجهك على هذا الخبز وعلى هذه الكأس، هذين اللذين وضعناهما على هذه المائدة الكهنوتية التي لك. باركهما، قدِّسهما، طهِّرهما وانقلهما، لكي يصير هذا الخبز جسدك المقدَّس ويصير المزيج الذي في هذه الكأس دمك الكريم].

الاستدعاء بدأ وكأنه نقطة ضعف، لأن الرب وعد أنه سيحضر من تلقاء نفسه كلّما اجتمعوا، حتى إلى اثنين أو ثلاثة باسمه! ... فلما تعوَّق سألوه المجيء فكان طقس الاستدعاء.

لذلك فإن التركيز على التأسيس دون الاستدعاء هو من جهة اللاهوت الليتورجي أعلى إيماناً وأكثر توافقاً مع وعد الرب، كما أنه أكثر أصالة وقدماً.

ومن هنا يتلاقى طقس روما مع طقس مصر مع تقليد أُورشليم البدائي. وما ظنّه علماء الليتورجيا حتى اليوم أنه نقطة ضعف في طقس روما هو أجلّ وأجمل ما فيه.

ويستطرد ريتشاردسن مكمِّلاً كلامه:

[على أنه هناك احتمالان بهذا الخصوص:

الاحتمال الأول: أن التأثير الشديد الذي خلفه العشاء الأخير على المسيحيين ترك انطباعه كتذكار حيّ دائم سيطر على كل ولائمهم الرسمية التي كانوا يكسرون فيها الخبز، فتكوَّنت عن ذلك ومنذ البدء وحدة عامة وأساسية لجميع طقوس العشاء بدأوا يلتزمون بممارستها منذ أول لحظة.

والاحتمال الثاني: هو أن هذه الوحدة (وحدة طقس العشاء) تَحتَّم أن يُنظر إليها من الناحية الروحية والمضمون، أكثر جدًّا من الشكل أو من التزاماتها المحدَّدة، وهذا يعطي التفسير المقنع الوحيد لهذه الأصناف المبكِّرة العديدة من الأشكال في الليتورجيا والتي استقرت أخيراً إلى التفرعين المعروفين جيداً بين ليتورجيات الشرق والغرب.][١٤]

هنا يقترب ريتشاردسن من الحقيقة ببراعة، فقد وضع يده تقريباً على أصل الليتورجيتين، فالطقس الأول يتبع تقليد العشاء بالفعل بصورته القديمة المبسَّطة، والطقس الثاني انبثق من الطقس الأول على أساس مفهومات روحية وجرياً وراء إبراز المضمون، ولكن ليس كما يظن ريتشاردسن أن الطقس الثاني تحلَّل منذ البدء من الالتزام الشكلي وتجاوز الالتزامات الطقسية المحدَّدة، بل كان أميناً في البداية لكلا الاتجاهين الروحي والشكلي، ولكن تعدُّد الليتورجيات في ما بعد جاء نتيجة لعدة أسباب سيأتي عنها الكلام في ما بعد.

(14) Richardson, *op. cit.*, p. XXI.

ريتشاردسن يشرح تصوراته من جهة انتقال الليتورجيا من طقسها الأورشليمي القديم إلى الليتورجيا التذكارية:

[لم يعثر ليتزمان على الجسر الذي يعبر بالطقس الأورشليمي (القديم المحفوظ في مصر) إلى الطقس التذكاري لموت المسيح الذي دخل الممارسة الفعلية ...]

ويستطرد ريتشاردسن قائلاً:

[ولكن الجسر بين الطقسين موجود وهو تحت أيدينا في وثائق القرن الثاني (إفخارستية الديداخي، ومقولات يوستين وكليمندس الإسكندري ... إلخ) التي تحمل بداية حركة النمو في كلمات وتعبيرات التأسيس Institution، وحيث لم يكن قد تركّز بعد مفهوم الطقس على أساس ذبيحة الصليب. وهذا التدرُّج واضح من التعبيرات التي جاءت بخصوص أكل الخبز هكذا:

(أ) "**نأكل خبز المسيح**" (في البدء جداً)

(ب) "نأكل جسد المسيح" (يوستين)

(ج) "نقدِّم جسد المسيح" (كبريانوس)

وفي يوستين ينكشف التدرُّج في مراحل العبور من الطقس الأول الأورشليمي.

أمَّا الفكرة التي بدأت تعبر بها الليتورجية من الطقس الأول للثاني، فهي تقوم على التحوُّل من مجرَّد تكرار اعتيادي لعشاء الرب إلى عشاء أكثر انتظاماً يقوم على بث الذكريات الحية والرجاء الكبير الذي كان يتحرَّك في قلوب التلاميذ، حيث كانت أفكار التلاميذ الأوائل التقوية مشحونة بتطلُّعات عن **استعلان الرب، وليمة المسيَّا، أكل الخبز في ملكوت الله**، وقد انطبع في ذهنهم منظر **المسيح وهو جالس على رأس المائدة ليلة العشاء**، وغير ذلك (مما يخص الإفخارستيا).

ثمَّ بعد انتقال التلاميذ الأوائل، تبلورت هذه الأفكار في ثلاثة أمور أساسية قيادية **"الموت" و"القيامة" و"استعلان ظهوره"**. أمَّا الغرب فالتصق **"بالموت والقيامة"**، وأمَّا الشرق فتركّز على **استعلان ظهوره**.][١٥]

(15) Richardson, *op. cit.*, p. 273,274.

لقد تعذر على ليتزمان العثور على الجسر الذي يمثل انتقال ليتورجية أُورشليم البدائية - والتي كان يعتقد خطأ أنها بخبز فقط وبدون كأس، وقد خلط في ذلك جميع العلماء قبله وبعده بين كسر الخبز اليومي الذي كان بمثابة "وليمة محبة فقط" وبين وليمة مساء السبت أي "عشاء الرب" الذي كانوا يجتمعون فيه معاً لغرض **كسر** الخبز **والشكر** على الكأس في احتفال مساء السبت (أي يوم الرب). ويكفينا برهاناً على ذلك استخدام الديداخي لاصطلاح "كسر الخبز" على إفخارستية يوم الرب الرسمية. تقول الديداخي هكذا: [أمَّا يوم الرب (كرياكين) فهو لما للرب خاصة (كيريو) اجتمعوا فيه **لتكسروا الخبز** ولتصلّوا الإفخارستيا بعد ما تعترفون بخطاياكم، لتكون **ذبيحتكم** طاهرة][١٦] - نقول إنه تعذَّر على ليتزمان العثور على الجسر الذي يمثل انتقال ليتورجية أُورشليم البدائية إلى ليتورجية "**التذكار**" كما يسميها.

وهنا يبتدئ ريتشاردسن يصف تصوره أنه عثر بالفعل على مرحلة الانتقال هذه في تسجيلات الديداخي ويوستين ومقولات من كليمندس الإسكندري، وكل تصور ريتشاردسن يتركّز في أن الليتورجيا الأُولى لأُورشليم كانت بدون كأس (أي إفخارستيا بدون الدم) وأنها كانت عبارة عن "كسر الخبز" فقط، وأنها كانت تخلو من عقيدة جسد المسيح ودمه أو حتى موت الرب، وأن هذه كلها استحدثها بولس الرسول ومن بعده يوحنا الرسول ... إلخ[١٧].

وقد تباعد ريتشاردسن - وغيره - إلى أقصى حد عن حقيقة كنيسة الرسل الأُولى التي كانت تعيش في ملء هذه الحقائق، ولكن لم تسجلها الإفخارستية الأُولى، أمَّا كل ما طرأ على الليتورجيا في الفترة الأُولى فهو نمو في الشجاعة على تسجيل هذه الحقائق داخل الليتورجيا، وليس نمواً في العقيدة، من جهة ماهية الخبز الإفخارستي والخمر الإفخارستي.

نقول: نمو في الشجاعة والإلهام على قدرة إدخال تعبيرات جديدة على الليتورجيا الموروثة، لأن الاستحداث على الطقس والتقليد أمر من أخطر ما يكون على المسئولين.

لقد "ولد" العشاء الأخير كاملاً في مساء الخميس أقصى ما يكون الكمال من جهة المفهوم اللاهوتي لسرّ الإفخارستيا "هذا الخبز هو "جسدي" وهذه الكأس هي "دمي الذي للعهد الجديد"

---

(١٦) في الديداخي تقول: [في يوم الرب اجتمعوا لتكسروا الخبز وتصلوا الإفخارستيا بعدما تعترفون بخطاياكم]. ربما كلمة "تكسروا الخبز" كانت الطقس الذي يشمل الليتورجيا (القراءة والتسبيح) الذي تطوَّر وصار الأغابي. ثمَّ "تصلوا الإفخارستيا" هي الليتورجيا التي تبتدئ بـ"فلنشكر الرب".

(17) Richardson, *op. cit.*, p. 323ff.

اصنعوا هذا لذكري".

فمَنْ ذا الرسول الذي لا يفهم من هذا وبعد أن ذُبح المسيح أمام أعينهم على الصليب في اليوم الثاني أن المسيح سبق واستودع الخبز والكأس سر موته عنهم، بل ذبيحة خلاصهم، بل سر حياتهم وفرحهم وتسبيحهم ورجائهم، بل سرّ وجوده الدائم معهم ورجائهم الحي باستعلان مجيئه؟ وسلوك التلاميذ والمؤمنين الأوائل أثناء تناول سرّ العشاء يشهد أنهم كانوا يعيشون هذه الحقائق؟

ولكن ينبغي أن نفهم أن الرسل استلموا ليتورجية طقسية بحسب تقليد آبائهم، وحدث في مساء الخميس أن المسيح سجَّلها لتكون ليتورجية العهد الجديد [اصنعوا هذا لذكري]. فصارت بكل دقائقها القديمة وليمة العهد الجديد وصارت عندهم مقدَّسة أكثر من مقدَّساتهم الأُولى. ولكن حدث أيضاً مساء الخميس أنه استودع الطقس معاني جديدة لم تكن موجودة ولم تكن تخطر لهم على بال، هذه بدأوا يتفهَّمونها ويسترجعونها في أذهانهم منذ صعوده ومنذ حلول الروح القدس عليهم شيئاً فشيئاً.

ولكن كان عليهم أن يمارسوا الطقس في البداية دون أي تغيير، ولكن ماذا عن المعاني والمفهومات الجديدة؟

هنا بدأت الليتورجية القديمة أمام أعينهم تحتاج إلى كثير من التوضيح والشرح والتعليق بكلمات واصطلاحات وصلوات وحركات حتى تستكمل في أعين وأذهان المؤمنين الجدد من الأُمم ماذا كان العشاء الأخير وماذا يُفهم منه.

هنا التزم الرسل التزاماً ببدء التغيير، وما أشق التغيير والإضافة على التقليد:

١ ـ حسب التقليد اليهودي القديم كان خبز البركة وكأس البركة عبارة عن أكل في حضرة الله لتذكار عهود الله في القديم والشكر عليها وطلب دوامها وتحقيق ما بقي منها.

٢ ـ ثمَّ تقليد المسيح في عشاء الخميس كان هو نفس التقليد القديم. ولكن أصبح خبز البركة جسد المسيح وكأس البركة دم المسيح، والأكل منهما هو اعتراف دائم وبشارة مستمرة بموت الرب إلى أن يجيء. لم يَرَ التلاميذ أن هذا التقليد الجديد يتنافى أو يلغي التقليد القديم، ففي البدء جدًّا أقاموا التقليد القديم كما هو، ولكن تولوا شرح معناه الجديد وما تمَّ فيه ليلة العشاء الأخير، ولكن خارجاً عن الطقس.

٣ ـ ثمَّ تشجَّع التلاميذ بإلهام الروح القدس وبدأوا يضعون على أساس التقليد القديم تقليداً

جديداً يشرح كل ما قاله المسيح، بل كل ما أكمله على الصليب وفي القبر والقيامة والصعود وكل مواعيده، من داخل الليتورجية ذاتها. فبقي التقليد القديم الذي مارسوه في بداية حياتهم المسيحية جنباً إلى جنب مع التقليد الجديد الذي صبغوه بالعقيدة المسيحية.

والآن إذا تجاهلنا وجود التلاميذ وتجاهلنا قدراتهم اللاهوتية وتجاهلنا أمانتهم للتقليد القديم ومعرفتهم بالأناجيل التي كتبوها، التي تُبرز أمام أعيننا مقدار الإلهام الذي أدركوا به كل المعاني الإلهية التي وراء العشاء الأخير، ثمَّ بدأنا بدونهم ندرس النصوص الليتورجية التي وصلتنا من الديداخي ويوستين الشهيد وإيرينيئوس وكليمندس الإسكندري وغيرهم، فماذا سنجد؟ سنجد النصوص الأُولى خالية من أي ذكر للجسد والدم أو موت الرب، وبعدها نجد نصوصاً بدأ فيها الإعلان بوضوح عن الجسد والدم، ثمَّ بدأ التعبير عن موت الرب، ثمَّ التلميح على أن الخبز والخمر يمثلان الذبيحة على الصليب، ثمَّ بشجاعة أكثر أن الخبز والخمر هما ذبيحة الصليب.

هذا التدرُّج في التسجيل الليتورجي عن الحقائق اللاهوتية لا يمثل بأي حال من الأحوال تدرجاً في عقيدة الرسل بخصوص الإفخارستيا، وإنما يمثل تدرُّجهم في القدرة على اقتحام الطقس القديم وتدرُّجهم في الشجاعة على استحداث **تقليد آخر** مسيحي غير التقليد اليهودي الذي استلموه وعاشوا فيه!!

ويقيناً إن ما سجَّله الرجال الكنسيون والأساقفة المتأخّرون من بعد الرسل لم يكن سوى تقليد شفاهي رسولي استلموه بالتعليم أولاً، ثمَّ تشجَّعوا هم بدورهم واستودعوه داخل الليتورجيا، أي أنه رسولي أيضاً.

وهكذا نضع أساس دراستنا لليتورجيا في ما يختص بنموها وتطورها لا على أنه نمو وتطوُّر في العقيدة والإيمان في ما يختص بالإفخارستيا، وإنما نمو في التسجيل ونمو في القدرة والإلهام الكنسي على استكمال التقليد الموروث كتابة، وما أصعب ذلك!

والآن نعود إلى ريتشاردسن في القول السابق:

فقد أصاب الحقيقة بصورة رائعة عندما قال: [أمَّا الفكرة التي بدأت تعبُر بها الليتورجيا من الطقس الأول (الأورشليمي) إلى الطقس الثاني (التذكاري)، **فهي تقوم على التحوُّل من مجرَّد تكرار اعتيادي لعشاء الرب إلى عشاء أكثر انتظاماً يقوم على بث الذكريات الحية والرجاء الكبير الذي كان يحرِّك قلوب التلاميذ، حيث كانت أفكار التلاميذ التقوية مشحونة بمواضيع**

استعلان الرب، ووليمة المسيَّا، وأكل الخبز في ملكوت الله، ومنظر المسيح على رأس المائدة ليلة العشاء. إلخ ...]

هنا في الواقع يعطي ريتشاردسن تصوُّراً صادقاً لليتورجيا الأُولى، ليتورجية أُورشليم البدائية حسب النص التقليدي القديم الذي مارسه الرسل مع المسيح في العشاء الأخير. **إنها عشاء تقليدي يتكرَّر ولا يحمل تعاليم الرب الإفخارستية. ثمَّ يعود ويتصوَّر أن الذي دفع التلاميذ إلى بدء وضع ليتورجية متطورة عن الأُولى هو المفهومات اللاهوتية التي ملأت قلبهم وذهنهم والتي استوحوها من العشاء الأخير وكلمات الرب معهم على العشاء** والنبوات السابقة المنطبقة على ما قاله وما عمله المسيح في العشاء الأخير. وهذا حق تماماً.

ثمَّ يعود ريتشاردسن ويلقي بالضوء على عملية النمو بعد رحيل الرسل، إذ يتصوَّر أن بعدما استودع الرسل مفهوماتهم في الليتورجيا ـ بقدر ما أسعفتهم تقاليدهم ـ جاء جيل لاحق ـ الأساقفة الأوائل ـ وبدأ يبلور تعاليم الرسل، حيث استقروا في جعلها تتركَّز في ثلاث حقائق أساسية: **"الموت والقيامة واستعلان ظهوره".**

ولكن الحقيقة أن التطوُّر في الإفخارستيا لم يكن في المعاني اللاهوتية التي تتضمَّنها الإفخارستيا ولكن في الجرأة والقدرة على التعبير عن هذه المعاني، كما يقول العالِم جريجوري دكس:

[مع دخول القرن الرابع لم يعد طقس الإفخارستيا محصوراً في صلاة واحدة فقط ـ صلاة الشكر ـ بل بدأت تضاف إليها صلوات أخرى لم تدخل بالضرورة ضمن صلب "صلاة الشكر"، ومن هذه الإضافات صلاة "التقديم offertory". فهذه صارت تعبِّر بالكلمات عن المعاني التي كانت الكنيسة الأُولى في ما قبل نيقية تكتفي بممارستها عملياً بدون كلمات. كذلك في زمن سابق أُضيفت صلوات القسمة والتناول **لتعبِّر عمَّا كانت الكنيسة تعيشه في ما قبل عملياً حيث كانت الأفعال تنطق من ذاتها بدون كلمات.**][18]

(18) Gregory Dix, *The Shape of the Liturgy*, p. 511.

خامساً: الحقيقة الإفخارستية التي وراء كل هذه الأبحاث المضنية

يقيناً لو كان هؤلاء العلماء قد درسوا الطقس القبطي عملياً ولو كانوا على وعي من جهة أصالة التقليد الليتورجي في مصر، ومقدار الدقة المتناهية في تسليم الميراث التقليدي التي اختص بها الأقباط كعنصر أساسي في مزاجهم اللاهوتي الموروث منذ آلاف السنين، لكانت قد أسعفتهم هذه الدراسات العلمية الدقيقة المضنية لاكتشاف أصل "إفخارستية عشاء الرب" الضائعة من أفق رؤيتهم فقط، والموجودة بكل أصولها وملامحها وحركاتها في طقس تقديم الحمل في مصر.

ولا ندَّعي أن هذا الأمر كان هيِّناً يسيراً علينا عند اكتشافنا لهذه الحقيقة، فلولا أننا عبرنا على كل أبحاث هؤلاء العلماء المضنية جدًّا، وجزنا معهم كل دقائق تطوُّر الإفخارستيا في كل كنائس العالم بكل تأنٍّ وصبر، ولولا أننا وقفنا معهم حائرين مهمومين أمام لغز ضياع ليتورجية أُورشليم الأُولى" أي "**إفخارستية عشاء الرب**"، بل ولولا أننا طرحنا الأمر بكل يأسه وعنائه على الرب بصلاة وتوسُّل أن يفتح بصيرتنا ويلهمنا الوصول إلى هذه الحقيقة، ما كنا وصلنا إلى هذا الاكتشاف الحيوي الذي نعتبره بكل ثقة أنه المفتاح الوحيد لدراسة الإفخارستيا دراسة جديدة كفيلة بأن تقلب كل النظرية التقليدية المدرسية السائدة الآن رأساً على عقب، بل وتجعل كل ما عداها من الدراسات عتيقة بالية قائمة على فراغ.

والآن نتدرَّج مع القارئ خطوة خطوة لنحدِّد أمامه:

١ ـ موضع إفخارستية تقديم الحمل الذي هو أصلاً إفخارستية عشاء الرب (ليتورجية أُورشليم أو الرسل) داخل القداس القبطي الآن.

٢ ـ موقف إفخارستية تقديم الحمل (عشاء الرب) من قداس الموعوظين.

٣ ـ انتقال إفخارستية تقديم الحمل (عشاء الرب) من المساء إلى الصباح.

٤ ـ إشارات عابرة تفصح عن أن ما يُسمَّى الآن بطقس تقديم الحمل هو بعينه قدَّاس الرسل.

٥ ـ وضوح الاعتماد المطلق على "إفخارستية تقديم الحمل" (عشاء الرب) في كلٍّ من إفخارستية سيرابيون وإفخارستية مرقس الرسول.

٦ ـ آثار إفخارستية عشاء الرب (تقديم الحمل) في كنائس البلاد الأخرى.

١ ـ موضع إفخارستية "تقديم الحمل" داخل القداس القبطي الآن:

إفخارستية "تقديم الحمل" هي الجزء الأساسي الذي يبتدئ به الكاهن خدمة القداس العام مهما

كان هذا القداس، سواء الباسيلي أو الغريغوري أو الكيرلسي (مرقس الرسول)، وهو موجود في الخولاجي (الإفخولوجيون) كبادئة حتمية لا تتبع أي قداس معيَّن.

وقد يبدو لأول وهلة للباحث المتخصِّص في دراسة الإفخارستيا إنه عمل إضافي على الإفخارستيا، لأن كل إفخارستية في العالم لها بداية رسمية محدَّدة، كل ما يأتي قبلها يعتبر إضافياً، وهذه البداية الرسمية هي ما يقوله الأسقف (أو الكاهن) وما يرد به الشعب هكذا:

- "الرب مع جميعكم، ومع روحك أيضاً".
- "ارفعوا قلوبكم، هي عند الرب".
- "فلنشكر الرب، مستحق وعادل".

ومعلوم أن "طقس تقديم الحمل" الوارد بالخولاجي يأتي كله قبل هذه البداية، إذن فهو في حكم القانون الإفخارستي طقس خارج عن صُلب الإفخارستيا. لذلك وبحكم قانون الدراسة والتحليل الإفخارستي، وضعه العلماء والدارسون كطقس خارج عن الإفخارستيا، وهكذا وبحكم هذا التحديد القانوني انكمش هذا الطقس تحت عنوان **"تقديم الحمل"**. و**"تقديم الحمل"** معروف في القانون الليتورجي أنه مجرَّد **"وضع القرابين على المذبح"**.

ولكن برجوع القارئ الدارس إلى جدول المقارنة الذي قدَّمناه في صفحة (١٩) بين طقس تقديم الحمل وطقس إفخارستية مرقس الرسول، يجد أن الأمر يستحيل بأي حال من الأحوال أن ينطبق عليه مجرَّد وضع قرابين على المذبح. فهو إفخارستية كاملة كمالاً متقناً دقيقاً، [يبدأ بغسل اليدين، واختيار الحمل، ثمَّ إعطاء المجد للثالوث، وتقريب القرابين، ثمَّ أواشي مطابقة لأطول إفخارستية: السلامة - المرضى - المسافرين - المنتقلين - القرابين - الخديم - والموصِّين - الاجتماعات - الطلبة - التسبيح الذي يسبق رسم السر (التأسيس) بالبركة على الخبز وعلى الكأس، ثمَّ الشكر على الكأس، الاستدعاء ليصير الخبز جسداً والخمر دماً، طلب مواهب الجسد والدم - السجود للذبيحة، إحناء الرأس لقبول التحليل، خلصت حقًّا، أوشية السلامة والآباء والاجتماعات، الاعتراف بالإيمان، صلاة الصلح، القبلة، تقدَّموا (تقرَّبوا) تقدَّموا - ذبيحة التسبيح] انتهى!

إلى هنا ينتهي هذا القدَّاس السري العجيب المختصر كل الاختصار والكامل كل الكمال. ولكن لا ينتهي بالتناول بل يغطّي الكاهن الذبيحة عند الخروج من الهيكل، بعد أن يغطّي الأسرار بالستر الخاص المسمَّى خطأ **"بالابروسفارين"**، في حين أن كلمة بروسفارين تعني في اليونانية "تقرَّبوا.

تقرَّبوا"، ولكن بدل أن يتقرَّب الشعب في هذه اللحظة يتوقَّف هذا القداس المختصر أو هذه الإفخارستيا الصغيرة، وتغطَّى الأسرار وتُحرس بواسطة شماسين (لأنها أسرار تقدَّست) لحين البدء بالقداس الشرحي الكبير المسمَّى **بالإفخارستيا الكبرى**. حيث يحتسب الآن أن كل الذي تمَّ في هذه الإفخارستيا المختصرة هو مجرَّد تقديم الحمل. ولكن من الملابسات التي سنشرحها بدقة سيتضح للدارس أكثر فأكثر سرّ هذه الإفخارستيا الفائقة الكرامة.

٢ ـ موقف إفخارستية تقديم الحمل من قداس الموعوظين:

معروف أنه بحسب الطقس الكنسي لا يجوز بأي حال من الأحوال تقديم الصعيدة (الذبيحة) في حضور الموعوظين، بل وتمنع الكنيسة بصورة قاطعة تكميل أي عمل سرائري من أي نوع بوجود الموعوظين أي غير المعمَّدين. وبالأخص جدًّا ذكر كلمة "أكل الجسد" و"شرب الدم" بسبب احتمال المفهوم الخاطئ الذي يتولَّد في ذهن الغريب عن الكنيسة أنه أكل جسد إنسان أو شرب دم إنسان.

لذلك كانت الكنيسة تستخدم هيكلاً جانبياً خاصاً بـ**"تقديم الحمل"** أو تقديم الصعيدة وكان يسمَّى "هيكل التقدمة Prothesis" ولا يزال هذا الهيكل مستخدماً باسمه هذا إلى الآن عند الروم لهذا الغرض ويسمَّى أيضاً الساكريستي Sacristy، أي موضع إعداد الذبيحة، وكان يسمَّى عند الأقباط: **"موضع الذورون"** أي "موضع الذبيحة"(١).

وورد هكذا بهذا الاسم في قوانين القديس أثناسيوس الرسولي باسم عربي محرَّف قليلاً: "موضع الظفير"، حيث كان يُستخدم أيضاً في أكل بقايا الذبيحة بواسطة الكهنة(٢).

كما ورد وصفه في مؤلَّف ابن سباع المعروف بالجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة الذي نشره وطبعه الأب الفرنسيسكاني منصور مسترِيح ـ صفحة ١٧٩. حيث يذكر أنه كان يجرى فيه طقس التقديم: [وبعد ذلك يمضي إلى **هيكل التقدمة الصغير** ويأخذ منه الحمل وينظر فيه ...].

علماً بأن في كليًّا Kellia أي برية القلالي وُجِدَت هياكل جانبية ليس لها باب على صحن

---

(١) هذا هو البدء أو الأصل في وجود هياكل جانبية، على اليمين واليسار يتوسَّطها الهيكل الرسمي الكبير المخصَّص للذبيحة يوم الأحد فقط. فالهياكل الجانبية الآن كانت هي المخصَّصة في البدء "للتقديم" فقط وكانت تسمَّى "هياكل التقديم"، وكانت أبوابها ضيِّقة جدًّا حيث كانت تُقدَّم الصعيدة والستارة مسدولة ـ وبعد انتهاء زمن الموعوظين، تحوَّلت هذه الهياكل الجانبية إلى هياكل أساسية لإقامة القداسات.

(٢) وفي نهاية القداس كان الشماس يحمل بقايا الذبيحة بعد المناولة إلى هذا "الهيكل الصغير" المسمَّى أيضاً Vestry انظر مجموعة كتابات: ANF vol. VII. p. 491

الكنيسة بل متصل فقط بهيكل الكنيسة.

وفي نهاية خدمة قداس القراءات = قداس الموعوظين وخروجهم، يتقدَّم الكاهن والشماس عند الروم ويرفعون "**الذبيحة**" من "هيكل التقدمة Prothesis" ويدخلون بها الهيكل الكبير باحتفال وتكريم فائق، وذلك بأن يدوروا دورة خاصة ما بين الهيكلين في وسط الشعب حيث يبتدئ القداس الكبير أو الإفخارستيا الكبرى.

هذا كان هو النظام في الطقس القديم أيام الموعوظين، لأننا نقرأ في كتابات القديس أثناسيوس أن الهيكل الكبير (الأوسط) ما كانت توضع عليه مواد الإفخارستيا طالما كان الموعوظون داخل الكنيسة.

ولكن بعد هذا بدأت الكنيسة تستغني عن الهيكل الجانبي وتستخدم الهيكل الكبير مباشرة في تقديم الحمل وتقديسه عليه، وذلك بعد انقضاء عصر الوثنية في مصر، وبالتالي انتهاء زمن الموعوظين الذي كان في نهاية القرن الخامس تقريباً، حيث أبطل من الطقس أيضاً هتاف الشماس بخروج الموعوظين.

وهذا بحد ذاته من الأمور التي لفتت نظر العلماء وحيَّرتهم جدًّا، أي غياب نداء الشماس بخروج الموعوظين نهائياً من القداس القبطي، فجميع مخطوطات الليتورجيات التي قام ببحثها العالِم رينودوت وسجَّلها عن الطقس القبطي، تخلو جميعاً من نداء الشماس التقليدي لخروج الموعوظين بعد الأواشي التي تلي قراءة الإنجيل والتي تنتهي بأوشية الموعوظين، علماً بأن أوشية الموعوظين نفسها لم تحذف ولم تتغيَّر قط عن موضعها هي ومردها المطوَّل الذي يقوله الشماس، ثمَّ مرد الشعب ..

أمَّا العالِم جون ماسون نيل، فهو يظن أن خروج الموعوظين كان يحدث ليس بعد قبلة السلام كما يتصوَّر العالِم رينودوت، بل بعد قراءة الإنجيل وقبل صلاة الحجاب.

فالكنيسة القبطية أغفلت عن عمد منذ القرن الخامس النداء بخروج الموعوظين في المكان المذكور أعلاه - **ولا حتى على سبيل الحفاظ على التقليد** - وإلاَّ تقع في مأزق **لأنها تعلم أن على المذبح توجد ذبيحة كاملة**، فكيف تنادي بخروج الموعوظين؟ ولو حتى على سبيل التقليد فقط (لأن الموعوظين غير موجودين أصلاً)، لأن النداء هو اعتراف طقسي بوجود الموعوظين، ووجود الموعوظين يتنافى قطعاً مع وجود ذبيحة على المذبح.

لذلك نجد الكنيسة القبطية تتخذ نداءً آخر بهذا المعنى تقريباً، بعد الأواشي والاعتراف، فيه التحذير كل التحذير تلميحاً وتصريحاً أن لا يتقدَّم أحد إن كان **على مستوى الموعوظ في عدم**

الطهارة: [مَنْ كان طاهراً فليدنُ من **السرائر المقدَّسة** (يُلاحظ هنا أن القداس الكبير لم يبدأ بعد) ومن كان غير طاهر فلا يدنو منها لئلاَّ يحترق بنار اللاهوت] (مصباح الظلمة لابن كبر باب ١٧)، حيث كلمة "طاهر" هنا تنصبّ بصفة عامة في المفهوم الآبائي القديم على المعمَّد، وغير الطاهر على غير المعمَّد. وهي مقتبسة من صلوات إفخارستية الديداخي (فصل ١٠: ١٢). ولكن في اعتقادنا أنها ترقى في منابعها الأُولى إلى قول الرب نفسه في إنجيل يوحنا بعد غسل الأرجل استعداداً للدخول إلى الإفخارستيا: «أنتم طاهرون ولكن ليس كلكم» (يو ١٣: ١٠). حيث يحدِّد الرب هنا الطهارة بمحدودية الأمانة أو الخيانة للمسيح.

٣ – انتقال إفخارستية تقديم الحمل (عشاء الرب) من المساء إلى الصباح:

لقد أسَّس الرب سر الإفخارستيا أثناء العشاء على أن يُقام في العشاء أي المساء.

ولقد ظلَّت الكنيسة الأُولى تمارس إقامة الأسرار في المساء. ونقرأ هذا بوضوح لكليمندس الإسكندري:

[في حالة الأغابي العامة كان الشمامسة يقومون أولاً بتوزيع الخبز المقدَّس والخمر المقدَّس (الإفخارستيا) ثمَّ بعد ذلك **العشاء** (الأغابي).][٣]

وقد سبق أن شرحنا[٤] مراحل تداخل الأغابي في سر "**إفخارستية عشاء الرب**" المسائية وكيفية انفصال الأغابي وبقاء "**سر العشاء**" وحده كإفخارستية قائمة بذاتها تُقام في المساء. وقد أورد لنا بولس الرسول إشارة واضحة عن ذلك في رسالته الأُولى إلى كورنثوس، ويعلّق عليها العالِم ريتشادسن هكذا:

[اليهود المسيحيون الذين كانوا من طبقة الكادحين كان يتعذَّر عليهم أن يجتمعوا إلاَّ متأخراً في المساء، وعندنا إشارة واردة عنهم في رسالة كورنثوس الأُولى: «لأن كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسه في الأكل (قبل حضور الفقراء) فواحد يجوع وآخر يسكر (في الكنيسة) ... لابد أن يكون بينكم بدع أيضاً ليكون المزكون (من الطبقة الغنية) ظاهرين بينكم ... أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيها وتشربوا، أم تستهينون بكنيسة الله وتخجلون الذين ليس لهم» (١كو ١١: ١٩-٢٢).][٥]

---

(3) Cited by Bethune-Baker, *Early History of Christian Doctrine, p. 407.*

(٤) راجع كتاب الإفخارستيا صفحة ٢٨١ وما بعدها في الطبعة الأُولى وصفحة ٢٩٩ وما بعدها في الطبعة الثانية.

(5) Richardson., *op. cit.*, p. 318 n.1.

ولقد احتفظ لنا التاريخ بأقوال متفرِّقة عن استمرار احتفاظ الكنيسة القبطية بإقامة سر الإفخارستيا في المساء حتى القرن الخامس(٦).

وفي اعتقادنا أن الديداخي، وهي من مؤلَّفات القرن الأول، تعتبر أهم وثيقة عندنا لتثبت قيام طقس إفخارستية العشاء في المساء في أي يوم بعد وليمة الأغابي (كطقس بولس الرسول في كورنثوس)، وقيام طقس إفخارستيا صباحية في كل يوم أحد بدون أغابي، وكل واحدة قائمة بذاتها. فالديداخي تقصد أن تحدِّد طقسين متمايزين للإفخارستيا واضحين كل الوضوح، واحداً - وهو الأصلي - مسائياً لكل يوم، وآخراً منبثقاً منه صباحياً ليوم الأحد فقط. المسائي يأتي بعد وليمة محبة وعشاء وامتلاء بدون ليتورجيا بمعناها الكامل أي بدون خدمة الكلمة، والآخر الصباحي بدون أكل وبعد ليتورجيا لخدمة الكلمة بعد اعتراف بالخطايا ومصالحة أخوية.

وكاتب الديداخي قصد استبدال اسم "**أغابي**" التي كانت تطلق على وليمة العشاء كلها، وقسمها إلى قسمين: قسم يخص الأكل والامتلاء، **وقسم يخص السرّ وسمَّاه "إفخارستيا". وهذه هي المرَّة الأولى الذي يطلق فيها هذا الاسم على سر العشاء. وقصد أيضاً وضع نظام أو ترتيب للإفخارستيا الصباحية الجديدة وما ينبغي أن يُقال فيها خصوصاً من جهة الاعتراف والمصالحة،** أي الحث على التوبة بصورة جماعية أي شعبية، **وهذا في عرفنا هو أول تقنين لطقس الإفخارستيا العامة الصباحية، كذلك وصف إفخارستية الصباح أنها ذبيحة، مشيراً بذلك إلى أول تعليم شرحي لاهوتي يربط سر الإفخارستيا بالخلاص وغفران الخطايا.** علماً بأن إفخارستية المساء لم تكن موضع تعليم ولا تقبل إضافات. وفي هذه النقطة بالذات يقول العالِم ريتشاردسن:

[إن ليتورجية الديداخي يمكن فقط تعليل قيامها على أنها امتداد لممارسة العشاء الذي تسلَّم منذ بدء قيام المسيحية، **أو بمعنى آخر إن كاتب الديداخي متمسِّك بأمانة بتقليد إفخاريستي نشأ قبل أن تصل الأناجيل المكتوبة إلى تداولها العام** ... وبهذا يكون اعتبار العشاء الأخير في تقليد الديداخي ليس طقساً للإعادة كعشاء يتكرَّر قانونياً، **ولكنه "تأسيس" عهد ختم بعد ذلك بدم المسيح**، وأنه أسبغ على كل الذين دخلوا فيه حالة جديدة بالنسبة للخطية وغفران الخطايا](٧)

(6) Socrates, *H.E.*, V, 22; Sozomen, *H.E.*, VII, 19; Augustine, *Epist. ad Jan.* 1.5.

(7) Richardson, *op. cit.*, p. 400.

وذلك نراه من واقع صلوات الديداخي التي شملت كل آيات "صلاة أبانا الذي" ماعدا "اغفر لنا ذنوبنا".

هنا يوضِّح هذا العالِم الإفخارستي بجهد رائع تطبيق "أبانا الذي" آية آية على صلوات الديداخي، ويستخلص من ذلك أنها أول محاولة لتكوين أو تأليف إفخارستيا كاملة على أساس "أبانا الذي". انظر البحث المطوَّل الوارد عن الديداخي(٨).

وينقل لنا مار إسحق أسقف نينوى صورة من عصر القديس مقاريوس عن ازدواج عمل الإفخارستيا مرَّة في المساء، أي مساء السبت، ومرَّة أخرى في صباح الأحد، حيث كانت إفخارستيا المساء بطبيعة زمانها وظروفها هي "عشاء الرب"، الإفخارستيا المسمَّاة الآن تقديم الحمل، وهي الإفخارستيا التي تنطبق عليها كل أوصاف إفخارستية عشاء الرب.

ويذكر مار إسحق بكل وضوح أن الآباء الرهبان كانوا يأتون من مغائرهم وقلاليهم البعيدة كل يوم سبت صائمين حتى المساء، صيفاً شتاءً بلا استثناء، ويتقرَّبون مساء السبت ثمَّ يظلون طول الليل يسبِّحون ويتبادلون كلمات الوعظ وشرح الكتاب حتى الصباح، فيقام القداس الكبير الذي ينتهي في الساعة الثالثة من النهار (أي التاسعة صباحاً)، والذي من بعده يشتركون في مائدة الأغابي، ثمَّ ينصرفون إلى قلاليهم.

ولكن منذ بداية القرن الخامس بدأ يتوقَّف هذا النظام المسائي حيث انتهى بانتهاء هذا القرن.

وفي هذا يعطينا العالِم ريتشاردسن صورة باهتة عن رؤيته لهذا الوضع هكذا:

[**وقرب نهاية القرن الثاني كان قد تأسَّس طقس الصباح (صباح الأحد)، بل وكان قد تطوَّر إلى صورة مختلفة عن الأصل** (هنا لا يدري ريتشاردسن ما هو الأصل، وهو طبعاً إفخارستية عشاء الرب)، وذلك تحت تأثير دخول "صيغة التأسيس" حيث بدأ يظهر في الوجود طقسان. ونعلم من ترتليان وكليمندس وهيبوليتس أن هذين الطقسين ظلاَّ منفصلين: طقس يوستين، وطقس الديداخي، بالرغم من أنه لا يوجد حاجز فاصل بينهما. فكل منهما إفخارستيا، وكل منهما منبثق من طقس آخر "للعشاء المسيحي" ... ونحن محقون عندما نعتقد أن كلا الطقسين ربما يكونان نابعين من أصل جذر واحد.][٩]

---

(٨) راجع كتاب الإفخارستيا صفحة ٣٠٨ وما بعدها في الطبعة الأُولى وصفحة ٣٢٨ وما بعدها في الطبعة الثانية. وأيضاً: Richardson, *op. cit.*, pp. 369ff

(9) Richardson, *op. cit.*, pp. 271, 272.

ويعطينا العالِم ريتشاردسن تدرُّجاً في دخول طقس إفخارستية الصباح هكذا:

[بدأت المسيحية بالاحتفال بالقيامة بعد سهر طول الليل، وكذلك في الاحتفال بتذكار الشهداء بعد ذلك حيث ينتهي السهر بوليمة إفخارستية عند الفجر، ولكن يوجد في سفر الأعمال سهر مثل هذا (بدون مناسبة) يمهِّد لهذا (الطقس)، ففي سفر الأعمال ٢٠:٧ امتد سهر بولس حتى الفجر وانتهى بوليمة إفخارستية كانت ولابد على طقس ١كو ١١. حتى في أيام ترتليان فيبدو أن الإفخارستيا الصباحية كانت لا تزال استثنائية.][١٠]

ولكن منذ بداية القرن الخامس بدأ يتوقَّف هذا النظام المسائي حيث انتهى بانتهاء هذا القرن تحت تأثير عوامل عديدة منها:

١ ـ صدور قانون مسكوني عام يمنع الصوم منعاً باتاً أيام السبوت.

٢ ـ وقد سبق ذلك صدور قانون إمبراطوري يحظر إقامة ولائم في الليل إمعاناً في التضييق والضغط على المسيحيين حتى لا يجتمعوا في الظلام خوفاً من تكتلاتهم. ويسجِّل لنا المؤرِّخ بليني سنة ١١٧م كيف أصدر الإمبراطور تراجان أمراً بخصوص مسيحيي بيثينية أن يكفوا عن الاجتماعات التي يأكلون فيها معاً (ليلاً)، **وهذا يحدِّد لنا أول محاولة لنقل الوليمة المقدَّسة إلى خدمة الصباح عوض أن كانت في المساء (السبت)**، ومن الواضح أيضاً **أن وليمة المساء ظل يُحتفل بها في الأماكن الأخرى** التي لم يضيق عليها القانون[١١].

٣ ـ صعوبة اشتراك السيدات والأطفال في قداسات المساء.

٤ ـ صدور قرارات من مجامع مسكونية بمنع الأغابي الليلية.

٥ ـ دخول عادة السهر الليلي طول ليلة السبت استعداداً لقداس الصباح.

ولكن لم تستطع الكنيسة أن تلغي قداس المساء، أي "**إفخارستية عشاء الرب**" التقليدية بسبب كرامة **طابعها المسائي** كتسليم الرب وكتسليم رسولي، الذي يدخل كعنصر جوهري في مفهوم التذكار أن يكون في موضعه أي في وقته التقليدي، فعوَّضت عنه بالعشية، ونقلته بكامله إلى خدمة الصباح، **وهكذا أضافت قداس المساء إلى قداس الصباح الكبير.**

وهنا بدت حكمة الكنيسة كيف استطاعت أن تحتفظ بطابعه المسائي المنفرد حتى إلى آخر

---

(10) Richardson, *op. cit.*, p. 318 n.4.

(11) J.F. Keating, *The Agape and the Eucharist in the Early Church*, app. II; pp. 54 ff, 94 ff, cited by Richardson, *op. cit.*, p. 271.

لحظة!! وذلك بأن وضعته قبل خدمة قداس الصباح للموعوظين المعروف بقداس الكلمة. وهكذا وقف قداس الصباح لخدمة الكلمة الذي للموعوظين حاجزاً زمنياً بين قداس المساء إفخارستيا عشاء الرب التقليدية - المنقول إلى الصباح - وبين القداس الصباحي الكبير.

ثمَّ استطاعت الكنيسة أن تجمع - بالرغم من ذلك - بين قداس عشاء الرب والقداس الصباحي في إفخارستيا واحدة كبرى أو في ليتورجية واحدة كبرى، وذلك بأن جعلت قداس عشاء الرب بمثابة تقديم (تقديم الحمل) لقداس الإفخارستيا الكبرى، ثمَّ رفعت الجزء الخاص "بالقسمة" من قداس عشاء الرب (تقديم الحمل)، وضمَّته إلى نهاية الإفخارستيا الكبرى. وهكذا تمَّ التحام الإفخارستيتين بمهارة مذهلة للعقل، وهكذا أيضاً احتفظت الكنيسة القبطية دون جميع كنائس العالم بإفخارستية عشاء الرب المعروفة بأنها "إفخارستيا أُورشليم أو قداس الرسل"(١٢) في صميم ليتورجيتها الكبرى دون أي نشاز، على أنها لم تستطع أن تتلافى التكرار الكثير (في الأواشي وفي التقديم وفي الاستدعاء ... إلخ) الذي ظل طابعاً مميزاً لليتورجيا القبطية عامة بسبب ضم إفخارستيتين متساويتين في كافة مراحلهما في إفخارستية واحدة.

٤ - إشارات عابرة تفصح عن أن ما يسمَّى الآن بطقس تقديم الحمل هو بعينه "قداس الرسل":

لقد وقع تحت نظرنا عبارة وردت في مخطوط رقم ١ لاهوت في مكتبة دير القديس أنبا مقار(١٣)، قمنا بتصويرها(١٤) تعتبر أن صلاة "الشكر" أي "صلاة **الإفخارستيا**" التي تقال على الكأس في طقس تقديم الحمل هي في الحقيقة إفخارستية قداس قائم بذاته هو هو بعينه **"قداس الرسل"** [ونكرِّر هنا أن قداس الرسل هنا هو القداس الذي قدَّس به الرب في ليلة عشاء ليلة الخميس].

تقول المخطوطة في الباب الثاني عشر (ورقة ١٩٣):

[ثم إن الكاهن يغطّي **الجسد والكأس** بالخرق (اللفائف)، ثمَّ يقرأ الكاهن **قداس الرسل الذي فلنشكر صانع الخيرات**، وعند تمامها ينزل الكاهن من الهيكل].

وهنا نكون قد وصلنا إلى قرينة ثمينة تعتبر في غاية الأهمية إذ تعطينا القناعة واليقين أن ما يتم في طقس تقديم الحمل هو هو قداس الرسل كما أثبتنا.

---

(١٢) قداس الرسل هنا يقع بمفهوم آخر غير قداس الرسل المعروف في قداديس الحبشة.

(١٣) راجع مخطوطة ١ لاهوت بمكتبة دير القديس أنبا مقار وعنوانها [الاعتراف الصحيح في تجسد السيد المسيح] وناسخها هو أنبا ميخائيل مطران أسيوط بإمضائه في آخر المخطوط.

(١٤) راجع صورة هذه المخطوطة في كتاب الإفخارستيا صفحة ٧٨٦ من الطبعة الأُولى وملزمة المخطوطات من الطبعة الثانية.

٥ ـ وضوح الاعتماد المطلق على "إفخارستية تقديم الحمل (= عشاء الرب) في كل من إفخارستية سيرابيون وإفخارستية مرقس الرسول":

إفخارستية سيرابيون:

(أ) أنافورا سيرابيون بحسب تركيبها الإفخارستي لا تأخذ شيئاً من النص الإفخارستي الوارد في الأناجيل، لا في المقدِّمة، ولا في التقديس على الخبز والخمر، ولا في تسجيل عبارة "اصنعوا هذا لذكري". وبالرغم من أن هيكلها العام موازٍ لتسجيلات الأناجيل الأربعة إلاَّ أنها لا تلتزم قط بالحرف.

(ب) كذلك وبالتالي نجد أن أنافورا سيرابيون لا تلتزم بالخطوط الثابتة التي وقفت عليها كافة الليتورجيات في القرن الرابع.

(ج) النصوص الثابتة للتأسيس في الأناجيل والمحددة الخاصة بالتقديس "أخذ خبزاً وأخذ كأساً" تأتي في أنافورا سيرابيون على هيئة رواية، فهي تعتبر غير أساسية، أي ليست في صميم التركيب المتسلسل، ويعتبرها العالِم ليتزمان عنصراً غريباً مضافاً على الأصل، والدليل على ذلك أن رواية الخبر تدخل في أوصاف خارجة عن مفهوم التقديس تباعد بين خبر الخبز وخبر الكأس، وبذلك تشذ عن الطقس المسجَّل في الأناجيل. لذلك فإن العالِم ليتزمان لا يعتبر رواية التأسيس في أنافورا سيرابيون مركز تقديس الإفخارستيا.

(د) كذلك فإن أنافورا سيرابيون لا تعطي انطباعاً عن أنها تصوُّر تذكار عشاء الرب الأخير، بل نجد أنها تهدف منذ أول كلمة أن تكون هي بحد ذاتها ذبيحة تحمل كل سر العشاء الأخير، لذلك نجدها تطلب حلول اللوغس كلمة الآب، أي المسيح نفسه، ليجعل الخبز جسداً والخمر دماً.

(هـ) وأيضاً فإن أنافورا سيرابيون تخلو تماماً من **"التذكار"** بمفهومه الليتورجي والإنجيلي، غير أنها تعتبر نفسها قائمة على أساس التذكار دون أن تذكره بأية ألفاظ معيَّنة. فهي تؤكِّد أنها ذبيحة بالفعل، تحمل سر موت الرب على الصليب كجسد مكسور فعلاً ودم مسفوك فعلاً، على مثال ما صنع المسيح نفسه ليلة العشاء الأخير. وهي تتشبَّث لتحقيق ذلك بكل إصرار [هكذا نحن إذ نصنع **مثال موته** نقدِّم هذا الخبز ـ مثيل الجسد، وهذا الكأس مثيل الدم (المسفوك على الصليب) ونتضرَّع إليك أن **"بهذه الذبيحة" تتصالح** معنا].

هنا تؤكّد الأنافورا أنها على مستوى ذبيحة الصليب تماماً، لذلك لا تتنازل عن أن تطلب التصالح بها مع الآب!

من هذا كله يتبيَّن لنا أن التركيب الإفخارستي لأنافورا سيرابيون مختلف تماماً عن كل الأنافورات النموذجية الأخرى على الإطلاق مثل الواردة عن هيبوليتس أو قوانين الرسل أو غيره؛ لأنه بينما نجد أن كل الليتورجيات تعتمد اعتماداً مطلقاً على كلمات الرب التأسيسية ثـمَّ الاستدعاء لتكميل الذبيحة، نجد أن أنافورا سيرابيون لا تعتمد في جوهرها على كلمات الرب التأسيسية ولا على الاستدعاء!

فما هو السر في ذلك؟ وما هو العنصر الأساسي إذن الذي تعتمد عليه أنافورا سيرابيون في التقديس لتكون أنافورا على الإطلاق؟ هذا هو السؤال الذي حيَّر جميع العلماء.

أمَّا الرد على ذلك فهو بما أن أنافورا سيرابيون إفخارستية وصفية صباحية، فهي تجيء بعد تقديم الحمل المحسوب أنه **"تقديس للقرابين"** بالدرجة الأُولى، وأقوى دليل على ذلك أن أنافورا سيرابيون المسجَّلة بدقائقها تخلو من تقديم القرابين، لذلك فهي تعتمد على تقديس القرابين الذي تمَّ في إفخارستية تقديم الحمل **التي هي إفخارستية عشاء الرب التقليدية التي هي ذبيحة بحد ذاتها.**

لذلك فإن أنافورا سيرابيون تصف القربان المقدَّم قبل الدخول في التأسيس أو الاستدعاء بأنه **ذبيحة!! [املأ هذه الذبيحة بقوتك وشركتك لأننا لك قد قدَّمنا(١٥) هذه الذبيحة الحية والصعيدة غير الدموية].**

ثمَّ تعود وتقدِّم هذه الذبيحة ـ وأيضاً قبل الدخول في التأسيس وقبل الاستدعاء ـ تقدِّمها لله الآب باعتبارها جسد ودم المسيح وتتوسَّل للآب **بأن يجعل هذه الذبيحة واسطة مصالحة ورحمة!! [لقد قدَّمنا لك(١٦) هذا الخبز (المتقدِّس) مثيلاً لجسد الوحيد، مثيلاً للجسد المقدَّس،** نحن نصنع مثال موته. قدَّمنا لك هذا الخبز ونتضرَّع إليك **أن بهذه الذبيحة تتصالح معنا جميعاً وتكون رحيماً].**

ولكن مما يثير العجب أيضاً في أنافورا سيرابيون أنها في فقرة من فقراتها تقول: [لأننا دعونا باسمك أنت (الآب) غير المخلوق (الأبدي) بواسطة وحيد الجنس (الابن) وبالروح القدس]. والحقيقة أننا لا نجد إطلاقاً في كل أنافورا سيرابيون أي "دعاء باسم الآب والابن والروح القدس"،

---

(١٥) لاحظ هنا أن التقديم جاء **بالفعل الماضي** προσηνέγκαμεν لأنه يشير إلى تقديم سابق تمَّ في إفخارستية تقديم الحمل.

(١٦) شرحه.

علماً بأنه يشدِّد على أهمية هذا الدعاء باسم الثالوث باعتباره عنصراً جوهرياً في التقديس، ونحن نعلم أن هذا الدعاء هو قانون التقديس في المعمودية أيضاً وكل سر، فما معنى هذا؟

ولكن واضح أن أنافورا سيرابيون تشير إلى الدعاء بالبركة باسم الآب والابن والروح القدس الذي يُقال في تقديم الخمل الذي سبق التقديس به على الخبز والخمر قبل البدء بأنافورا سيرابيون، ولكن ليس الأمر مجرَّد إشارة بل تأخذ أنافورا سيرابيون باعتباره إجراءً جوهرياً تعتمد عليه اعتماداً مطلقاً في متابعة صلواتها كأساس.

هذا هو السر الذي دوَّخ العلماء، ولم يعطِ عالِم واحد حلاً أو رأياً ذا قيمة على الإطلاق، لأنه معروف في التقليد الإفخارستي أن **التقديس لا يمكن أن يتم قبل التأسيس وقبل الاستدعاء. وقد أيَّد الآباء جميعاً هذا وصار قانوناً إفخارستياً محدداً أن قبل التأسيس وقبل الاستدعاء يظل الخبز خبزاً ساذجاً والخمر خمراً ساذجاً**، فكيف وقبل أن يأخذ الكاهن الخبز على يديه تصفه أنافورا سيرابيون بأنه "ذبيحة حية وصعيدة غير دموية"؟ بل ويطلب بهذه الذبيحة باعتبارها جسد ودم المسيح أن نتصالح مع الآب؟

والآن أصبح هذا اللغز محلولاً، وأصبحت هذه الحقيقة مفهومة وواضحة، وأن الذي أربك العلماء ودوَّخهم هو عدم اكتشافهم هذه الحقيقة وهي أدق وأهم عنصر من عناصر التكوين الإفخارستي منذ أن نشأت إفخارستية الصباح المركبة. فالإفخارستيا أصبحت تقدَّم على مرحلتين متداخلتين ومتضمنتين في طقس واحد: مرحلة تقديم الخبز والخمر ليصيرا جسداً ودماً للابن الوحيد، ثمَّ المرحلة الثانية لتقديم الجسد والدم لله الآب باعتبارهما الذبيحة الحية والصعيدة غير الدموية التي بها يتم الصلح وننال رحمة.

ولكن ظل الفصل والإيضاح بين هاتين المرحلتين دقيقاً للغاية مع أنه موجود وواضح بصورة خفية في رواية الإفخارستيا التي جاءت في الأناجيل، وهي لا تفوت ملاحظة أي إنسان دقيق مرهف، وعلى القارئ الآن أن ينتبه للتفريق بين المرحلتين في رواية الأناجيل:

[**أخذ خبزاً وبارك** وكسر وقال **هذا جسدي**] [الذي **يُقسم عنكم**].

[**أخذ كأساً وشكر** وقال **هذا دمي**] [الذي **يُسفك عنكم**].

واضح أن البركة والشكر على الخبز والخمر أتمَّت المرحلة الأُولى وصار الخبز والخمر في يد المسيح جسداً ودماً.

ثمَّ هذا الجسد وهذا الدم سيقدَّمان لله الآب عنكم، وهنا تتم المرحلة الثانية.

إذن، فالمرحلة الأولى تتم في "تقديم الحمل" حيث يتقدَّس الخبز والخمر ويصيران جسداً ودماً (ذبيحة)، والمرحلة الثانية تتم في الإفخارستيا الكبرى، حيث تقدَّم الذبيحة لله الآب للمصالحة.

قداس مار مرقس الرسول:

تقول أنافورا مار مرقس الرسول في بدء مطلعها في أول فقرة بعد "الرب مع جميعكم" هكذا: [وخلقت الكل بابنك الوحيد. هذا الذي من قبله **نقدِّم هذه الإفخارستيا، ونقرِّب لك** معه ومع الروح القدس **هذه الذبيحة الناطقة وهذه الخدمة غير الدموية**]. وهذا يُشبه نص الكلمات التي تستخدمها أنافورا سيرابيون مشيرة إلى **إفخارستية** تقديم الحمل. ثمَّ بعدها مباشرة وقبل التقديس وقبل الحلول يقول: [لأن اسمك عظيم .. ومن أجله **نقدِّم هذه الذبيحة وهذا القربان**].

ويعود الكاهن ويقول - قبل التقديس، بل وقبل أن يأخذ الخبز على يديه هكذا: [**املأ هذه الذبيحة التي لك بالبركة التي من قبلك** بحلول روحك القدوس عليها، **قرابينك هذه المكرَّمة المبذوء بوضعها أمامك** (السابق وضعها - أي تقديسها - في تقديم الحمل)].

مواضع أخرى:

(أ) **في تقليد هيبوليتس عن الإفخارستيا**(١٧): تبدأ الإفخارستيا بقوله: [ويضع الأسقف يده مع الكهنة على "**الصعيدة**"]، ولا يقول "على الخبز والخمر".

هنا إشارة ضمنية إلى أنه يسبق إفخارستية هيبوليتس طقس آخر انتهى بالحصول على "**صعيدة**"، التي تصفها كل من إفخارستية سيرابيون ومرقس الرسول "**بصعيدة غير دموية**"، أي أنها ذبيحة الجسد والدم التي للمسيح.

كذلك في الاستدعاء تقول إفخارستية هيبوليتس [ونحن نتوسَّل إليك لكي ترسل روحك القدوس **على هذه الذبيحة التي لكنيستك المقدَّسة** τὴν θυσίαν τῆς ἁγίας ἐκκλησίας].

ولا تطلب إفخارستية هيبوليتس أن يتحوَّل الخبز إلى جسد والخمر إلى دم بسبب وعيها أن الموضوع على المذبح هو جسد ودم، بل تطلب أن تصير الذبيحة بحلول الروح القدس لها قوة

(١٧) يشدِّد "سراولي" على أن إفخارستية هيبوليتس إسكندرية، ويضعها تحت الليتورجيا المصرية.
Srawley, *The Early History of the Liturgy*, p. 68-72.

وسلطان جسد المسيح الحي المقام "**لكي تجمع وتوحِّد معك (مع الآب) كل الذين يتناولون منها حتى يمتلئوا بالروح القدس الذي يثبت إيمانهم في الحق**".

(ب) في مخطوط العالم ابن كبر المعروف بمصباح الظلمة في إيضاح الخدمة في الباب السابع عشر في شرحه لسر القربان يقول: [وبعد أن يقول الشعب الأمانة (قبل الدخول في القداس) يأخذ الكاهن المبخرة ويبخّر فوق الهيكل **والجسد** وقدام المذبح ...].

إذن، واضح أمامنا أن كلاً من أنافورا سيرابيون وأنافورا مرقس الرسول، بل وإفخارستية هيبوليتس كانت منذ البدء على وعي دقيق وواضح بقيمة إفخارستية تقديم الحمل، واعتمدت كل منها اعتماداً مطلقاً على التقديس الذي تمَّ في هذه الإفخارستيا على كل من الخبز والخمر، وقد أصبح في عرف أنافورا سيرابيون وأنافورا مرقس الرسول أن الخبز والخمر هما الآن ـ بعد تقديم الحمل، ومنذ بدء الليتورجيا ـ جسد ودم، ذبيحة حية وصعيدة غير دموية مقدَّمة للآب!

ولكن لشدة الأسف فإن هذا الوعي بقيمة "إفخارستية تقديم الحمل" والاعتماد المطلق عليها مفقود نهائياً من ليتورجية القديس باسيليوس وليتورجية القديس غريغوريوس في الطقس القبطي وفي كل الليتورجيات (وكل الطقوس لكل الكنائس الأخرى طبعاً)، وذلك بسبب البعد الزمني الكبير بين صياغة كل منهم وبين عصر الرسل عصر التقليد المتقن والوعي الإفخارستي الرائع. لأنه ينبغي أن لا يتوه عن بالنا قط أنه بقدر ما بدأت تنمو الإفخارستيا في الوعي اللاهوتي وتستخدم المفهومات الخلاصية وتشرح سر الفداء، بقدر ما كانت تنسلخ عن وعيها بتقليدها القديم المسلَّم من يد المسيح في بساطة السرّ وروعة الإتقان الذبائحي.

ولكن ظلَّ على كل حال في ختام طقس تقديم الحمل ما يشهد لعراقة وأصالة هذا الطقس بصورة واضحة كل الوضوح، وذلك بواسطة النداء الذي ينادي به الشماس **حتى اليوم في نهاية تقديم الحمل** بعد الصلح والقبلة، **وقبل أن يبدأ الكاهن بأيَّة كلمة من ليتورجيا الإفخارستيا الكبرى ـ أي قبل أن يقول الكاهن "الرب مع جميعكم" و"ارفعوا قلوبكم"** ينادي الشماس قائلاً: [أيها الإكليروس وكل الشعب، بطلبة وشكر بهدوء وسكوت ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق **لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه**].

يُلاحظ هنا أن **الكنيسة تعلن بأن الذي على المذبح هو جسد ودم عمانوئيل، وذلك قبل البدء في الدخول في القداس رسمياً** (حسب قانون الإفخارستيا). وواضح جدًّا أن هذا الجزء من

الليتورجيا، أي صلاة الصلح، لا تتبع الإفخارستيا الصباحية قط، لأن الإفخارستيا الصباحية لا تبدأ رسمياً إلاَّ بقول الكاهن: "**الرب مع جميعكم، ارفعوا قلوبكم، فلنشكر الرب**".

هكذا فإن هذا النداء بقي كأقوى شاهد ينبهنا بشدة إلى ضرورة تفهم قيمة وكرامة إفخارستية تقديم الحمل وأهميتها المطلقة **كجزء جوهري في التقديس وفي مفهوم قيام الإفخارستيا ككل.**

٦ – آثار إفخارستية عشاء الرب (تقديم الحمل) في كنائس البلاد الأخرى:

وهي المعروفة عندهم الآن **بالتقدمة** Offertory ومكانها المذبح الجانبي Prothesis والمسمَّى أيضاً Sacristy أي موضع إعداد الذبيحة.

طقس كنيسة أنطاكية في القرن الرابع:

سوف نسرد للقارئ على لسان ثلاثة من علماء الليتورجيا ليتزمان ودكس وريتشاردسن كل الظروف التي مرَّت **بالتقدمة**، أي "تقديم الحمل" في الكنائس الأخرى. وكيف ضاع من كافة الكنائس قوة التقديس الحادثة في الطقس الأصلي باعتباره إفخارستية عشاء الرب التقليدية – ولم يعد إلاَّ خبزاً ساذجاً وخمراً ساذجاً – وضاع مع الطقس مفهومه وشرحه السليم، ولم يتبقَ منه إلاَّ ملابسات التوقير الفائق له ومعاملة الخبز والخمر (هكذا) معاملة الأسرار نفسها وعلى أعلى مستوى.

ثمَّ سوف يرى القارئ مدى البلبلة والتضارب بسبب هذا عند الكنائس وعند كل دارسي الليتورجيا وعند كبار اللاهوتيين شرقاً وغرباً، إلى درجة نعت الكنائس بالكفر لأنها توقِّر وتسجد للخبز والخمر (هكذا) في مرحلة التقديم.

ولكن من وسط هذا التشويش والبلبلة، لا نعدم صوتاً يقترب من الحقيقة دون أن يضع يده عليها، فيشرح ويعلِّل ويصالح برؤيا معتمة كمن يرى شيئاً من وراء الضباب، وهو الأسقف ثيئودور أسقف موبسوستا (٣٥٠–٤٢٨م) صديق العمر للقديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧–٤٠٧م)، ولكن نسبق ونحذِّر القارئ لأنه يحاول أن يجعل من سر الإفخارستيا تمثيلية (ونجح بالفعل في تلويث فكر بيزنطة) الأمر المبغوض لدينا جدًّا، والذي أخذ به للأسف الشديد – بعض رجال كنيستنا القبطية!

والآن إليك أيها الباحث قصة التقديم في كنائس سوريا وأنطاكية وأرمينيا وبيزنطة باختصار شديد. وسوف نجعل هنا تعليقاتنا في الهامش.

يقول العالِم ريتشاردسن:

[الاستدعاء Epiclesis وهو طلب حلول الروح القدس في الليتورجيات الشرقية ليحوِّل التقدمة على المذبح إلى جسد ودم المسيح، هذا في الحقيقة يُعتبر عملاً مكمِّلاً لإجراء طقسي آخر له طابع المأساة بحسب الليتورجيا البيزنطية فقط (يقصد البروثيسيس Prothesis أي تقديم القرابين قبل بداية القداس). وفيه يقطع الكاهن الجزء الأوسط من القربانة المختمرة، وهذا يسمَّى "الحمل المقدَّس" ثمَّ يطعنه بحربة ليمثل معاملة جسد الرب في آلامه على الصليب. هذا طقس تمهيدي يجري في بدء الأنافورا[١٨]. وقد يحسب أيضاً أن عملية مزج الخمر بالماء هي بمثابة طعن الجنب وخروج دم وماء ممزوجين.

وأقدم مخطوطة تسجِّل لنا هذا الطقس هي المخطوطة المعروفة "بخولاجي البربريني" من القرن التاسع، ويأتي هذا الطقس فيها **في مقدِّمة الخدمة، أو مدخل الخدمة.** وتقول الليتورجيا إنه يتم خارج الهيكل الكبير وليس على المذبح، بل في مكان جانبي مجاور للهيكل[١٩]. والعملية كلها مع المكان المخصَّص لها أصبحت تسمَّى الآن Prothesis أي "مقدِّمة الذبيحة". ولكن ذكر الحربة لم يدخل الطقس إلاَّ بعد ذلك بكثير (أي في القرن العاشر أو الثاني عشر)[٢٠].

هذا الطقس المأسوي (عملية طعن الحمل) له منذ القدم أصله العقائدي وبصورة تفصيلية وبأسلوب واقعي وذلك في زمن ثيئوذور أسقف مبسوستا Mopsuesta (٣٥٠-٤٢٨م): **حيث تكشف عظاته في الليتورجيا وشروحاته الأخرى أن هذا الطقس كان يجرى في ذلك الزمان على المذبح.**][٢١]

والآن نكمِّل هذه القصة من مصدر آخر هو العلاَّمة دكس:

---

(١٨) هذا الطقس التمثيلي غير الواقعي له ما يماثله في التقليد القبطي غير الرسمي وهو مأخوذ حديثاً من الطقس البيزنطي، ولكن غير رسمي وبأشخاص غير رسميين أي بواسطة القرابني الذي يصنع خبز القربان، فإنه يقوم بثقب القربانة خمسة ثقوب، وهذا يسمَّى عملية البختشة (والبختشة كلمة أرمنية مشتقة من "خاش" أي "صليب" أي أن القرابني يقوم **بعملية صلب الحمل!!** قبل دخوله النار، والخمسة ثقوب هي في الحقيقة نفس الخمسة جروح، اثنان في اليدين، وواحد في الرجلين وإكليل الشوك وطعنة الجنب، ولكن البلبلة في هذه التمثيلية واضحة جدًّا لأن الكاهن بعد عملية الصلب هذه يقوم في بداية تقديم الحمل بتمثيلية أخرى هي عماد الجسد.

(١٩) الآن تستخدم مائدة على شمال المذبح في الكنيسة البيزنطية وعند الروم العرب.

(20) Gregory Dix, *The Shape of the Liturgy*, p. 286.

(21) Richardson, *op. cit.*, p. 423.

[وفي نفس منطقة أنطاكية (سوريا) وليس بعيداً عنها، وفي زمان ذهبي الفم نجد ثيئودور أسقف مبسوستا يشرح الموضوع هكذا: "علينا أن نفكّر في الشمامسة الذين (عند التقديم) يحملون الخبز الإفخارستي ويقدّمونه للذبيحة، فإنهم **يمثّلون** الخدام غير المنظورين القائمين على الخدمة الذين يختلفون في كونهم بخدمتهم هذه التذكارات لا يخرجون المسيح ربنا إلى آلامه المخلصة ولكن يضعونها (الصعيدة وقت التقديم) على المذبح لتمثيل تكميل الآلام حتى نبدأ نفكّر فيه وهو على المذبح وكأنه موضوع في القبر بعد أن قبل آلامه. وهذا هو السبب في كون الشمامسة الذين يفرشون المفرش (من الكتان) على المذبح، يمثّلون منظر لفائف الكتان وقت الدفن. الشمامسة يقفون على كلا الجانبين يروِّحون **على الجسد بالمراوح**(٢٢)، فيعلنون بهذا عن عظمة الجسد المسجَّى على المذبح، لأنه من عادة تكريم أجساد العظماء في العالم أن يروِّحوا عليها. أمَّا هنا، **فالجسد المقدَّس** الذي يقدَّم له الرعدة والخشية في القلوب البعيد عن الفساد، الجسد الذي سيقوم لوجود حيّ غير مائت (القداس)، الشمامسة يلتفون حول المذبح يروِّحون ويقدِّمون الكرامة والعبادة للجسد المقدَّس المهيب المسجَّى(٢٣). تذكاراً للملائكة الذين لم يكفوا عن خدمة الرب وقت الآلام والموت، وهذا إنما يعمله الشمامسة ليكشفوا عن عظمة الجسد الراقد وهيبته وقداسته أنه حقًّا للرب باتحاده بالطبيعة الإلهية وأنه بالمخافة العظمى ينبغي أن يرى ويراعى"].

[هذه الأمور تُجرى بينما يكون الجميع صامتين، لأنه قبل أن تبتدئ الليتورجيا ينبغي على الجميع أن يراقبوا استحضار القرابين ووضعها أمام الله، هذا الأمر العظيم والعجيب، وذلك بهدوء وخوف ووقار وبسكون وبلا أي ضوضاء، فعندما مات الرب رجع الرسل وبقوا في العلية بسكون عظيم وخوف كثير، فعندما نرى الصعيدة على المذبح (التقديم) التي تشير إلى وضع الجسد في القبر بعد الموت، فإن سكوناً عظيماً يقع على جميع الحاضرين. وعليهم أن ينظروا إليه بسكون وخوف ووقار كثير، لأنه حتماً سيقوم المسيح ربنا من خلال صلوات الليتورجيا المذهلة التي ستكمل بواسطة الخدمة الكهنوتية حيث يعلنون شركتنا في خيراتها غير

---

(٢٢) لاحظ هنا أننا في صدد التقديم أي قبل الدخول في القداس مباشرة، وبالرغم من ذلك يسمَّى الخبز هنا جسداً، مما يدل على أنه قد سقط من الطقس دقائق صلوات الإفخارستيا الأُولى و لم يتبقَّ إلاَّ الأسماء والحركات.

(٢٣) لاحظ هنا قوله تقديم الكرامة والعبادة للجسد المقدَّس، في حين أنه من واقع الطقس المسجَّل هنا لم ندخل بعد في الإفخارستيا الكبرى ولا نزال في التقديم مما يدل دلالة قاطعة على أنه سقطت كل الصلوات والإجراءات الخاصة بالتقديس في الإفخارستيا الأُولى (تقديم الحمل).

المنطوق بها.][٢٤]

وهنا يعقّب العالِم دكس هكذا:

[ولكن هنا شيء غير منسجم إطلاقاً، لأن هذا الوصف يتعلّق بالجزء الأول من مجرَّد التقديم offertory، و لم يأتِ التقديس بعد، فكل هذا الخوف وهذه الرعدة والعبادة التي يؤكّد عليها ثيئوذور والترويح والتكريم، كل هذا مقدَّم للخبز والخمر؟ غير المقدَّسين؟ بل وقبل أن تبدأ الليتورجيا؟ ولكن كل الكلام يؤكّد هذا أمامنا! لأن ثيئودور ينطلق من هذا إلى وصف كيف يعلن الشمامسة بعد ذلك عن **القبلة المقدَّسة وعن غسيل الكاهن ليديه** Lavabo [٢٥]، ثمَّ ذكر لوحي (صفحتي) الأموات والأحياء، ثمَّ يذكر بعض الصلوات التحضيرية للكاهن ثمَّ مخاطبة الكاهن للشعب: الرب مع جميعكم، ثمَّ تبدأ صلوات الإفخارستيا!][٢٦]

والآن واضح أمامنا هذه البلبلة التي دخل فيها العالِم دكس، وكيف وقف حائراً لا يستطيع أن يفسِّر كيف يعطي للخبز الساذج والكأس هذه الكرامة والمهابة والخوف والرعدة والعبادة.

ولكن يا قارئي العزيز، ليس فقط قد صارت هذه البلبلة لدى العلماء في القرن العشرين، بل وإن ثيئوذور نفسه يقف متعارضاً مع نفسه، فهو ورث هذه المهابة والخشية فقط في هذا الجزء من الطقس، دون أن يفهم أو يدري سرها الحقيقي، لأنه في هذا القرن بالذات، أي القرن الرابع، كانت قد بدأت عملية انطماس **أصل الإفخارستيا الأولى** وتقليدها الموروث حيث طغت الليتورجيا الوصفية على "إفخارستية عشاء الرب" البسيطة والعميقة جدًّا، وأخفتها تحت عنوان ما يسمَّى "بالتقديم" ثمَّ ألغته نهائياً في كل البلاد ما عدا **مصر، البلد الوحيد الذي يقيم "التقديم" بأصله الإفخارستي بكل صلوات أواشيه وتقديسه وصلوات الشكر والاستدعاء إلخ** ... وهو المدعو بقداس الرسل.

الطقس البيزنطي:

ثمَّ يستطرد العالِم دكس، ويطبِّق ما هو حادث في الطقس البيزنطي، مظهراً اندهاشه وحيرته بسبب هذه البلبلة التي بقيت أمامه بلا حل.

---

(24) Dix., *op. cit.*, p. 282, citing Theodore, *Catecheses* V, VI.

(٢٥) لاحظ هنا أن في إفخارستية عشاء الرب في العصور الأُولى تتم المصالحة وغسل اليدين في الختام. وهذا لا يزال يسري عند اللاتين. فالقبلة في نهاية القداس قبل التناول مباشرة، أمَّا غسل اليدين فكان بسبب بدء الكاهن بالتقسيم.

(26) Dix., *op. cit.*, p. 282.; Srawley *op. cit.*, p. 193.

[ولكن هذه الحقائق التي يرويها ثيئوذور عن مفهوم التقديم offertory تعطي لنا المفتاح أو طرف الخيط الذي به يمكن فهم بعض الصفات الخاصة والغريبة جدًّا التي نشاهدها في الطقس والتقليد البيزنطي **من جهة العادة المعروفة في الطقس بـ"الدخول الكبير"** (دورة التقديم). **فالشمامسة والكهنة القائمون بالتقديم – واشتراك الكهنة هنا في التقديم كفيل بأن يدمِّر كل المفهوم الرمزي – يحضرون المواد غير المقدَّسة من على المائدة الجانبية** Prothesis[٢٧]، **حيث يكونوا قد أعدوها سابقاً بأعمال موسعة قبل أن تبدأ الليتورجيا (تقسيم القربانة وطعن الحمل ... إلخ) – يحضرونها بمسيرة رسمية (دورة) إلى المذبح. وفي أثناء ذلك يقدِّم الشعب عبادة وسجوداً للمواد المحمولة أمامهم. وللوقت يسبِّح الخورس تسبحة الشاروبيم**[٢٨] – وهي تسبحة دخلت (في الطقس البيزنطي) في القرن السادس.

ولكن هذا التوقير العميق والعبادة والسجود الحقيقي المقدَّم "للمواد غير المقدَّسة بعد" أثناء هذه المسيرة (الدورة) كانت مصدر حيرة وارتباك لكل لاهوتيي الشرق ولغزاً لا يزال قائماً في وجه علماء الليتورجيا الذين وضعوا لهذا تفاسير عديدة. وبعض العلماء فسَّر هذا بأنه كان قديماً الذي يُحمل في هذه المسيرة (الدورة) هي أسرار محفوظة سبق تقديسها. ولكن شرح ثيئوذور يكشف لنا عن هذا الأصل القديم الحقيقي.][٢٩]

(انتهى كلام دكس)

وهكذا يتكشَّف أمامنا بكل إتقان ووضوح لا يمكن التشكُّك فيه، أن حيرة هذه الكنائس وحيرة علماء الليتورجيا جميعاً بخصوص التكريم والعبادة والرعدة المقدَّمة لمواد التقديم هو في الحقيقة معلوم لدينا جدًّا سببه، وبكل يقين، بحسب الطقس القبطي التقليدي المتحفِّظ الذي لا يزال محتفظاً بطقس التقديس بالبركة والشكر على الخبز والخمر والاستدعاء في تقديم الحمل، بحيث أنه بانتهاء طقس تقديم الحمل يكون قد تمَّ تقديس الخبز والخمر إلى "ذبيحة حية وصعيدة غير دموية" واجبة التكريم

---

(٢٧) هنا يخرج دكس عن رزانته وتعقُّله بسبب أن إحضار القرابين هو من عمل الشمامسة فقط، فكيف يشترك فيه الكهنة؟ ولكن فات على دكس أن المواد هنا كانت في القديم وحسب الطقس الأصيل في القرن الأول والثاني قد تمَّ عليها صلاة إفخارستيا العشاء (قداس الرسل)، فلمَّا سقط كل طقس هذه الصلاة وانطمست معالمها تماماً، لم يبقَ منها إلاَّ الكرامة والمهابة والعبادة التي اعتاد عليها الإكليروس والشعب.

(٢٨) هي شبيهة بالتسبحة الشاروبيمية التي يقولها الشماس في نهاية خدمة تقديم الحمل بعد صلاة الصلح والقبلة المقدَّسة في الطقس القبطي. والتسبحة الشاروبيمية قديمة جدًّا في مصر، ومصر موطنها الأصيل وهي موجودة في إفخارستية سيرابيون.

(29) Gregory Dix, *op. cit.*, p. 284, 285.

والعبادة والسجود، لأن المسيح يكون قائماً فيها.

وهكذا يكشف لنا كل من طقس أنطاكية في القرن الرابع والطقس البيزنطي اللاحق عن بقايا طقس إفخارستية عشاء الرب التي وإن ضاعت معالمها عندهم، فقد بقيت آثارها في معاملة الإكليروس والشعب لمواد التقديم، وكذلك في شرح ثيئودور الذي يؤكّد حدوث تقديس كامل في تقديم الحمل.

الطقس الأرمني:

وحتى طقس الكنيسة الأرمنية لا يزال موجوداً به آثار هذا الترتيب في الصلوات والمردات فقط لأن "التقديم offertory" يتم عندهم الآن بعد الأواشي التي تقال بعد قداس الموعوظين، ولكن بالرغم من ذلك فإنه قبل الدخول في القداس وقبل تقديم القرابين يردِّد الشعب بعد أن ينذر الشماس بخروج الموعوظين هذا المرد: [**الجسد المقدَّس الذي لربنا والدم الذي لمخلّصنا هو أمامنا**، القوات السمائية غير المنظورة تنشد وتقول قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت].

وكان تعليق العالِم "جون ماسون نيل" على هذا المرد في هذا الموضع: [**إن هذا شذوذ فائق الغرابة ومذهل، فليس فقط التقديس نفسه لم يبتدئ بعد بل وتقديم القرابين أيضاً لم يبدأ.**][٣٠]

أمَّا في الطقس (الرومانو ـ أرميني) أي الطقس الأرمني الإيطالي فقد انتبه العلماء مؤخَّراً لهذا التعارض، فجعلوا الشعب يرد قائلاً ـ بدلاً من "**الذي لمخلّصنا هو أمامنا**" ـ حولوه إلى القول "المزمع أن يحضر أمامنا" وهذا تشويه للتقليد.

نستخلص من هذا كله:

أن جميع ليتورجيات الشرق سواء في سوريا أو بيزنطة أو أرمينيا، احتفظت بآثار واضحة غاية الوضوح لقداس كامل كان يتمَّم فيه بالفعل تقديس الخبز والخمر تقديساً كلياً قبل البدء بالأنافورا الوصفية الصباحية التي تبدأ بعد قداس الموعوظين.

وإن هذه الآثار قائمة في صميم العبادة وتكريم مواد الإفخارستيا بصورة لا تقبل الشك بالرغم من ضياع الطقس ومفهومه.

وبذلك يكون وجود قداس عشاء الرب بإفخارستيته الكاملة داخل مضمون طقس "تقديم الحمل" في مصر له ما يثبته في كافة الكنائس الأخرى.

---

(30) J. Mason Neale, *op. cit.*, pp. 428, 429.

سادساً: ملاحظات على ليتورجية تقديم الحمل

بعد اختيار الكاهن القربانة والخمر

الخطوة الأولى:

١ – يغسل يديه:

وذلك رمز لتطهير النفوس المكرَّسة لله[1].

طقس غسيل الأيدي أصلاً أثناء العشاء يأتي قبل أن يمسك الكأس للبركة. لأنه يكون قد دخل الليل وأصبح بداية يوم جديد (هنا يوم الأحد. إذ كانت الإفخارستيا في مساء السبت/ عشية الأحد). وعند دخول أول ساعات اليوم الجديد المقدَّس (السبت سابقاً) يحتّم الطقس أن يكون تقديس اليوم الجديد بغسل اليد. حتى ولو لم يوجد وليمة باعتباره أول عمل تطهيري يعمل ليوم (السبت)، فهكذا ورثنا غسل اليد على الكأس وتحوَّلت إلى غسل اليد قبل التقديس على الخبز والخمر.

الخطوة الثانية

٢ – يمسك القربانة:

ثمَّ يذكر مَنْ يريد أن يذكرهم وبالأخص مَنْ كانوا أصحاب إقامة الوليمة ويكون القربان قد قُدِّم عنهم.

ويُلاحَظ أن طقس الإسكندرية الذي يحمل طابعه قداس مار مرقس وقدَّاس تقديم الحمل تأتي الصلوات التوسلية فيه **قبل تقديس القربان.** أمَّا السبب في ذلك فيرجع إلى أن الأصل الثابت الذي نبعت منه الإفخارستيا هو طقس عشاء الرب الذي كانت تُقام فيه الخدمة بصورة خاصة في البيوت. وهكذا تقدّم للقائم بالخدمة سواء نبي أو رسول أو أسقف الأسئلة والتوسلات والطلبات من أجل أصحاب البيت والقائمين بمصاريف الوليمة (أصلاً)، وذلك قبل تقديم القرابين. لأن تقديم القرابين قائم أساساً من أجل هذه الطلبات والتوسلات سواء مرضى أو مسافرين أو شهداء أو منتقلين. هذا يعني أن هذه الطلبات والتوسلات هي الأساس الذي من أجله عملت الوليمة وأُقيمت الإفخارستيا.

(1) ANF, vol. VII, p. 486.

ولا تزال بداية أوشية القرابين تحمل هذا الطابع: [اذكر يا رب الذين قدَّموا لك هذه القرابين والذين قُدِّمت عنهم والذين قُدِّمت بواسطتهم، أعطهم كلهم الأجر السمائي]. وهذه الملامح انتقلت إلى أوشية القرابين في الإفخارستيا الكبرى (الوصفية). أي ملامح طقس العشاء في البيوت، حيث يُقال فيها بوضوح بقايا ما يختص بأصحاب الولائم والإفخارستيا في القديم هكذا: [هكذا أيضاً نذور عبيدك اقبلها إليك، أصحاب الكثير وأصحاب القليل ـ والذين قدَّموا لك في هذا اليوم هذه القرابين ـ بيوتهم ومخازنهم املأها من كل الخيرات] كل هذا في محيط مطالب الأسرة وأعوازها وأحزانها.

كذلك يُلاحظ أيضاً في تقديم الحمل أن أوشية الأموات كانت من أجل الميت في البيت، ولذلك إن لم يكن ميت لا تكون أوشية أموات!! حيث يقول الخولاجي: "إذا كان يراد ذكر الميت" يُقال كذا وكذا ...

٣ ـ الدورة والأواشي:

(أ) **السلام للكنيسة:** يقولها بصورة غير تخاطبية للشعب، بل بصورة دعاء شخصي يُقدِّمه بصفته الخاصة كأسقف:

[**سلاماً وبنياناً** لكنيسة الله الواحدة الوحيدة المقدَّسة الجامعة الرسولية. آمين.]

ومضمونها وارد في سفر الأعمال: «وأما الكنائس... فكان لها **سلام** وكانت **تُبنى**» (أع ٩: ٣١). وفي الحقيقة نحن نثق أن هذه الآية في سفر الأعمال مأخوذة بنصها من روح الليتورجيا القديمة التي كانت تُمارس آنئذ قبل كتابة سفر الأعمال، وكأن صاحب سفر الأعمال يردِّد من محفوظاته!!

(ب) [**ثم يذكر** أصحاب القرابين ويختم: أعطهم كلهم الأجر السمائي] وهذه هي نواة أوشية القرابين.

(ج) **مرد الشعب** بالمزمور ١١٧: ٢٤-٢٦ يُقال يوم الأحد فقط والأصل في يوم الفصح.

[هلليلويا هذا هو اليوم الذي صنعه الرب. فلنفرح ونبتهج فيه (يوم الأحد: القيامة). يا رب خلصنا (دعاء على مثال دعاء شعب إسرائيل في مصر) بعد أن أقاموا الفصح.

يا رب سهل طريقنا (السفر من مصر عبر سيناء)].

ويُلاحَظ أن التسبيح بهذا المزمور يأتي في تقديم الحمل فقط وليس في الإفخارستيا الوصفية أو الكبرى مما يؤكِّد أن قدَّاس تقديم الحمل هو الإفخارستيا **الأصلية**.

وهو المزمور الذي سبَّح به المسيح والتلاميذ ليلة الخميس (**الفصح**)، وهذا أبقاه الرسل في التقليد

الإفخارستي بصفته للفصح المسيحي، أساساً في تقديم الحمل "المسيح فصحنا قد ذُبح".

ويعلّق القديس أثناسيوس الرسولي على بداية طقس هذا القدَّاس قائلاً:

[معطين المجد للآب قائلين: هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلنفرح ونبتهج فيه ...][٢]، وذلك من محفوظاته، مردداً بداية القداس: مجداً وإكراماً إكراماً ومجداً للثالوث المقدس الآب والابن والروح القدس.

٤ – وعند اكتمال الدورة والتذكارات:

يقف الكاهن على باب الهيكل ويقول لإخوته الكهنة: "باركوا" ويظنها بعض الشرَّاح أنه يقصد باركوا عليَّ، ولكنه يدعو الكهنة أن يباركوا على مواد الإفخارستيا الخبز والخمر.

٥ – البركة الثالوثية:

يمسك الكاهن القربانة ويقرِّب إليها وعاء الخمر (لا يزال في الزجاجة) ويكون الشماس ممسكاً لوعاء الخمر بيده اليمنى: (ولكن الرشم والنداء بالاسم يقع أساساً على الخبز فقط كما سنرى):

[ويرشم الكاهن الاثنين الخبز والخمر **معاً** ثلاث رشوم ويقول:

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد.

مبارك الله الآب الضابط الكل آمين.

مبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا آمين.

مبارك الروح القدس المعزِّي آمين.]

هنا البركة لله مباشرة: الآب والابن والروح القدس. ولهذا يُعتبر هنا التقديس **سرِّياً فلا يصح أن يرفع الكاهن صوته** لأن البركة هنا لله الآب والابن والروح القدس.

يقول الكاهن وهو يضع القربانة في الصينية:

[مجداً وكرامةً كرامةً ومجداً للثالوث المقدَّس الآب والابن والروح القدس].

فيرد الشماس مباشرة بصوتٍ عالٍ:

[واحدٌ هو الآب القدوس، واحدٌ هو الابن القدوس، واحدٌ هو الروح القدس آمين. مبارك الرب الإله إلى الأبد. آمين].

(2) NPNF, 2nd series, vol. IV p. 538.

ولكن يقول العالِم Oesterley[٣]:

[إن اسم الله يعادل ذاته، والدعاء به هو بمثابة توسُّل لحضوره السرِّي].

وكيرلس الأُورشليمي يشدِّد أن الدعاء يجب أن يكون باسم الثالوث[٤].

ويعود Oesterley يقول:

[إن القصد من الاستدعاء بالاسم هو **الحضور الإلهي** ـ حسب الوعد إذا اجتمع اثنان أو ثلاثة **باسمي** أكون في وسطهم.][٥]

ولكن الذي يلزم التنبيه إليه أن **الدعاء بالاسم هو على الخبز فقط** للتقديس، أمَّا **الكأس فالتقديس لها يكون بصلاة الشكر** ثمَّ يقول الكاهن: "وشكر".

وعلى هذا يقول القديس كليمندس الإسكندري:

[حينما يتقدَّس هذا الخبز بقوة الاسم فهو ليس كما كان، ولكن يتغيَّر بالقوة إلى قوة روحانية.][٦]

ومن كلام العالِم العظيم أوريجانوس تتضح هذه الحقيقة بقوة:

[وخبز الإفخارستيا هو الذي فوقه يُدعى باسم الله والمسيح والروح القدس.][٧]

ويكشف الأمر العالِم ليتزمان في كتابه الملزمة الأُولى صفحة: XVI: [في تقديم الحمل يتضح أنه عبارة عن وضع يد الأسقفية] (لأن قانون الإفخارستيا ينص على أن الأسقف هو الذي يقدِّس الإفخارستيا). بمفهوم أن تلاوة الاسم الآب والابن والروح القدس مع وضع يد الأسقفية هو عبارة عن عملية تقديس تشبه ما يحدث في المعمودية. لذلك فإن عمل تقديس القربان هو أصلاً من عمل الأسقف فقط وليس من عمل الكاهن كما كان العماد قديماً في العصر المسيحي الأول. (السران العظيمان الإفخارستيا والعماد هما من اختصاص الأساقفة، من هنا جاء الالتباس في تصور تقديس القربان أنها عملية عماد خطأ). أمَّا تقديس الكأس فسيأتي الكلام عليه.

---

(3) W.O.E. Oesterley, *The Jewish Background of the Christian Liturgy*, p. 211.

(4) Cyril of Jerusalem, *Catech. Myst.*, I, 7.

(5) Oesterley, *op. cit.*, p. 219.

(6) Clement of Alexandria, *Excerpta ex Theodoto*, 82.

(7) Origen, *Comment. on 1 Cor. VII*, 5.

٦ – يصب الكاهن القارورة التي فيها الخمر في الكأس.

٧ – المرد على البركة الثالوثية:

(الشماس) بعد أن يقول "آمين" ثلاث مرّات يكمّل: "واحد هو الآب القدوس واحد هو الابن القدوس واحد هو الروح القدوس. آمين".

"مبارك الرب الإله إلى الأبد آمين".

هذا المرد لا يجيء أبداً إلاّ بعد "القدسات للقديسين"، وقد حُذفت هنا "القدسات للقديسين" لأنها ستجيء في القداس سواء الباسيلي أو غيره الذي ضُمت إليه إفخارستية "تقديم الحمل"، كنوع من التطور الذي جازته الإفخارستيا بسبب دخولها في الصباح وصيرورتها لأجل الشعب وليست خاصة في بيت.

"القدسات للقديسين" هي نداء الكاهن إيماء إلى أن المواد الإفخارستية تقدَّست ولا يتناول منها إلاّ المطهَّرون، فعوض أن ينادي بخروج غير الأطهار وغير المستعدين يقول منذراً أن "القدسات للقديسين".

وهنا يكون المرد:

"واحد هو الآب القدوس واحد هو الابن القدوس واحد هو الروح القدوس. آمين".

وبعدها يدعو كل الأُمم للاشتراك في البركة لأن عهد الإفخارستيا انفتح على كل العالم بذبح المسيح الذي تمثّله الإفخارستيا.

وهذا تحدِّي للطقس العبري القديم الذي كان يحدِّد بركة الرب الإله لشعب إسرائيل فقط وفي مدينة أُورشليم حيث الهيكل سكنى الرب الإله! حيث يقول حزقيال: «مبارك مجد الرب من **موضعه**» (حز ٣:١٢) ولكن طغى قول النبوَّة: «في كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وذبيحة طاهرة.» (ملا ١:١١ حسب السبعينية).

وللقديس سافريانوس أسقف جبالا قول في هذا:

[تذكرون بعد ذلك كيف أن الملائكة من السماء يرنّمون التسابيح والمديح قائلين: "قدوس هو الآب، قدوس هو الابن، قدوس هو الروح القدس".][٨]

(8) Cited in Bingham, Antiquities, 5, 286.

كما يُلاحظ أن قبل التقديس على الكأس بالشبهموت (أي صلاة الشكر بالقبطية) بعد أن يكون الكاهن قد أكمل البركة الثلاثية على القربان، وكذلك بعد أن يكون الشماس قد أكمل المرد:

"واحد هو الآب القدوس واحد هو الابن القدوس واحد هو الروح القدس" فإن الشعب يقوم بمرد: "ذكصابتري" أي: "المجد للآب والابن والروح القدس". وهنا لماذا المجد؟

يلزمنا لندرك حكمة هذا المرد أن نعود إلى عشاء الخميس، وبعد أن أعطى المسيح اللقمة ليهوذا الخائن وأخذها وخرج قال المسيح: الآن تمجَّد ابن الإنسان وتمجَّد الله فيه! (يو ١٣: ٣١). هذا هو سر مرد الشعب "المجد للآب والابن والروح القدس"، بعد البركة على الخبز وقبل تقديس الكأس ونهاية العشاء.

٨ ـ التقديس على الخمر:

بتلاوة صلاة الشكر (الشبهموت) = (قداس الرسل الذي هو فلنشكر صانع الخيرات ...).

٩ ـ مرد الشماس على صلاة الشكر:

إشارة إلى أن مادتي الإفخارستيا قد تقدستا (الخبز والخمر).

"اطلبوا لكي يرحمنا الله ... ويجعلنا مستحقين أن ننال من شركة أسراره المباركة المقدَّسة (أي التي تقدَّست بالبركة) لمغفرة خطايانا". والمعنى أن مواد الإفخارستيا قد تقدَّست بالفعل وصارت أسرار مباركة مقدَّسة!!

هذا معناه أن بصلاة "الشكر" يكون قد تقدَّس الخمر، كما رفع المسيح الكأس وشكر عليه وبعدها قال خذوا اشربوا هذا هو دمي الذي للعهد الجديد المسفوك من أجلكم ومن أجل كثيرين!! ولهذا يصرخ الشماس لكي يجعلنا الله مستحقين بعد ذلك أن ننال من أسراره المقدَّسة!

١٠ ـ تفسير صلاة الشكر:

انظر في ما بعد ملاحظات على صلاة الشكر صفحة ٧٢.

١١ ـ التحوُّل:

بعد تقديس الخبز بالرشومات والمباركة وبعد تلاوة صلاة الشكر على الكأس تكون المواد الإفخارستية قد تقدَّست. وهنا يأتي تكميل التقديس **بالتحوُّل** إلى الجسد المقدس والدم الكريم.

صلاة تقدمة الخبز والخمر اللذين تقدَّسا:

يقول الأسقف (الكاهن): "نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر: **أظهر وجهك** على هذا الخبز (المقدَّس) وعلى هذه الكأس اللذين وضعناهما على هذه المائدة الكهنوتية التي لك: باركهما قدِّسهما. طهِّرهما. وانقلهما".

(أ) لكي هذا الخبز يصير جسدك المقدَّس.

(ب) والمزيج (خمر وماء) الذي في هذا الكأس يصير دمك الكريم.

ويكمِّل صلاة التقدمة قائلاً: وليكونا لنا جميعاً ارتقاء وشفاءً وخلاصاً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا.

وقوله: "أظهر وجهك على هذا الخبز" هو من واقع مضمون "خبز الوجوه".

ويقول العالِم الإفخارستي ليتزمان صفحة ٤٠٧: [عند رفع المسيح عينيه ونظره إلى فوق نحو الله أبيه والخبز على يديه كان هذا معناه رفع الخبز ليُرى أمام وجه الآب تماماً كما رفع الجسد على الصليب ورآه الآب].

+ وهذا يحسب أنه حلول الكلمة الذاتي بشخصه = بروسبون. وهذا له مضمون لاهوتي عند سيرابيون وفيلياس في زمانهم على مثال حلول المسيح على الشهداء واعتبارهم خرستوفورس أي حاملي المسيح: (انظر فيلياس أسقف تمي ANF, VI p. 162).

+ كما يُلاحظ في القداس اليوناني لمار مرقس أنه يأتي في "تقديم الحمل" الناقص عبارة "أظهر وجهك على هذا الخبز" بصورة توضيحية هكذا:

[اجعل حضرتك تستقر على هذا الخبز وعلى هذه الكأس] ثمَّ تنقطع الصلاة.

هنا يكون في الحقيقة قد انتهى قداس الحمل وأصبح جاهزاً للتناول، ولكن أُضيفت إليه القراءات بعد ذلك. لذلك يغطِّي الكاهن الجسد والدم بالغطاء الذي سُمِّي الابروسفارين خطأ. لأن نداء بروسفارين من الشماس يعني تقدَّموا تقدَّموا على هذا الرسم، أي تقدَّموا للتناول.

وهي التي قيلت بعد ذلك بعد القراءة للبولس والكاثوليكون والإبركسيس والإنجيل ثمَّ التذكارات: الأواشي والمجمع (أوشية المنتقلين بعد حدوث تضخُّم لها) ثمَّ تلاوة الأمانة. يقول ابروسفارين التي تأخَّرت عن موضعها الصحيح لا ليدخل ويتقرَّب الشعب بل ليبدأ قداس آخر!

فالنداء بابروسفارين التي معناها تقرَّبوا تقرَّبوا على هذا الرسم تكشف هنا الإضافات كلها التي حدثت

من بعد صلاة فلنشكر صانع الخيرات وصلاة التقدمة. التي ينبغي أن يأتي بعدها "القبلة" ثمَّ التناول.

+ **وعلى ذكر القبلة التي قبل التناول:** (التي رُفعت من تقديم الحمل لتدخل في القداس الكبير)، بعدها يسبِّح الشعب بجملة غير مفهومة [رحمة السلام ذبيحة التسبيح]!

هذا المرد له علاقة بما جاء في إنجيل القديس مرقس ١٢:٣٣: "إن محبة الله ومحبة القريب هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح".

فهنا يريد هذا المرد أن يجمع الاثنين: محبة الله ومحبة القريب وأيضاً الذبيحة الحقة التي تجمع الكل. رحمة مع ذبيحة السلام للتسبيح!

انظر الشرح في ليتزمان صفحة ٤٧٦ ترى أن ذبيحة التسبيح هي ذبيحة السلام، واسمها العبري: Sacrifice of praise = Zebah Salamim لذلك "فذبيحة التسبيح" هي ترجمة أصيلة للاسم العبري الدقيق.

وقد ذُكرت في العهد القديم في (لا ٧: ١٣و١٥)، (مز ٤٩: ١٤و٢٣، ١٠٦:٢٢، ١١٥:٨) وفي العهد الجديد في (عب ١٣:١٥): «فلنقدِّم به (بالمسيح) في كل حين لله **ذبيحة التسبيح** θυσίαν αἰνέσεως».

ملاحظات على صلاة الشكر:

١ ـ يُلاحظ أن الكاهن قبل أن يقوم بتلاوة صلاة الإفخارستيا يلتفت إلى زملائه ويقول: "باركوا" وليس باركوا عليَّ بل ليشتركوا في مباركة الكأس. وهذا يعني أنه قادم على تقديس الخمر.

٢ ـ ثمَّ يقول الكاهن: "السلام للكل" أو "السلام للجميع" وخطأ أن يقول لجميعكم، لأن هذا معناه أنه هو الذي يعطي السلام من عنده، ولكن المرد الأصيل يكشف أنه يطلب من الله السلام للجميع (بما فيه نفسه أيضاً)! وإضافة كلمة "بركة" مع "وسلام" خارجة عن الطقس.

+ ويُلاحَظ أن قوله: "السلام للكل" هنا أتت متباعدة جدًّا عن تقديس الخبز، وهذا الزمن المتباعد هو المسافة الزمنية التي تقتضيها الوليمة بين كسر الخبز والتقديس على الكأس في نهاية العشاء! حيث يبدأ هنا الكاهن مرحلة مستقلة عن الوليمة هي تقديس كأس الشكر إيذاناً بانتهاء الوليمة.

+ أمَّا السر وراء هذا القول: "السلام للكل" فهي العبارة التي كان يفتتح بها المسيح على الدوام الإجراء الطقسي مخاطباً بها تلاميذه ـ فأخذتها الكنيسة منذ البدء في كل

الخدمات الكنسية ليفتتح بها الكاهن طقس خدمة السر(٩).

٣ ـ ويُلاحَظ أن مُنطلق **"فلنشكر الله"** هو نهاية مزمور التسبيح الذي سبَّح به الرب ليلة العشاء يوم الخميس: «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب ...» (مز ١١٧: ٢٤-٢٦) بالعبري، وينتهي المزمور: «**اشكروا الرب** لأنه صالح وأن إلى الأبد رحمته».

وصلاة الشكر تُقال عند اليونانيين سرًّا μυστικῶς لأنها تكرار إفخارستيا غير مفهوم عندهم. وقد فقدت معناها ولا تُقال على الكأس!

٤ ـ **في هذا اليوم المقدَّس**: الذي كان يوم السبت والآن هو يوم الأحد(١٠) ، ومعروف أن صلاة الشكر كانت عند اليهود لها صلة كبيرة "بتقديس اليوم" وقد انتقلت إلى المسيحية. الفقرات التي لا يوجد فيها علاقة بالعهد اليهودي فكانت: [مبارك أنت أيها الرب الإله الملك الأبدي الذي أبقانا أحياء وحفظنا وأعاننا وأتى بنا إلى هذه الساعة]. فصارت: [نشكر الله ... لأنه سترنا وأعاننا وحفظنا وقبلنا إليه وأتى بنا إلىهذه الساعة]. وحينما قال الكاهن قبل البدء بصلاة الشكر: [السلام للجميع] على الكأس فهذا يعني بداية جديدة في الصلاة، توحي بتحوُّل في مجرى الأمور أو حدث شيء أحدث هذا الانقطاع واستلزم بداية جديدة ـ هو دخول المساء وبداية طقس آخر لنهاية الوليمة. حيث يبدأ رئيس المتكأ الشكر على الكأس "كأس البركة" أو كأس الشكر. هذا الشكر هو في حقيقته مضمون تقديس اليوم الجديد الذي يبدأ بحسب الطقس العبري والطقس الكنسي حالياً من بعد غروب شمس السبت، وتدعوه الكنيسة الآن عشية الأحد. حيث يقول رئيس المتكأ في صلاة الشكر: [وأتيت بنا إلىهذه الساعة] وهي أول ساعات يوم الأحد (أو يوم عيد) بمعنى أتيت بنا إلى مبدأ هذا اليوم المقدَّس. ونلاحظ في إنجيل القديس يوحنا أن المسيح أشار في حديثه إلى هذه الساعة: «أمَّا يسوع قبل عيد الفصح (عصر يوم الخميس) وهو عالم أن ساعته (وكانت الساعة السادسة يوم الجمعة يوم الفصح حينما سيصلب) قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب.» (يو ١٣: ١و٢)

٥ ـ ثمَّ يكمِّل الكاهن: "من أجل هذا نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر أن تكمل لنا هذا اليوم المقدَّس" (باقي ٢٣ ساعة).

---

(٩) انظر: القديس كيرلس الكبير Cyril of Alex. *In Joan.* 20, 21 Bingham 5, p. 276

(10) Justin, ANF, *1st Apology 67.*

ولأن صلاة الشكر هي تقديس لليوم وتسمَّى في التقليد العبري صلاة تقديس اليوم - أخذتها الكنيسة وجعلتها مبدأ لكل صلاة وكل خدمة داخل الكنيسة وخارجها(١١).

+ ولمَّا كانت صلاة الشكر أصلاً في استخدام تقديس الولائم داخل البيوت فإننا نجدها خالية من ذكر الكنيسة أو أعمال الفداء الأخرى أو ذكر الإنجيل، كذلك نجد صلاة الشكر لا تخاطب الشعب ولا تعطي للشعب فرصة للاشتراك فيها، لأنها كانت صلاة شكر خاصة للأسقف ليبارك بها اليوم الجديد على كأس العشاء كأس البركة. ومعلوم في الطقس العبري أن صلاة الشكر لتقديس اليوم دخلت بعد ذلك في خدمة صلوات المجامع وصارت لتقديس اليوم.

ولكن نسمع من العالِم أويسترلي (صفحة ١٧٠) أن في التاريخ اليهودي - ما بعد العصر المسيحي - أخذت هذه الصلاة، أي صلاة تقديس اليوم، مركزاً قوياً ممتازاً.

والنظام العبري الذي استقر في التقليد اليهودي في أيام المسيح هو أن تبدأ الوليمة بكسر الخبز ثمَّ العشاء - وعند دخول الظلام حوالي الساعة السادسة، التي هي أول ساعة من اليوم المقدَّس يقوم الكل عن العشاء ويستقبلون اليوم الجديد (بغسيل الأيدي) وصلاة تقديس اليوم - صلاة الشكر - على الكأس الأخير ويسبِّحون (انظر أويسترلي صفحة ١٧١). فإذا كانت الوليمة في عشية أي يوم آخر غير السبت مثل أيام الأعياد تُقال نفس صلاة الشكر لتقديس اليوم.

وهكذا تخصَّص في الطقس المسيحي كأس الشكر فقط بتقديس اليوم. أمَّا كسر الخبز فيتبع طقس زمانه من مواسم وأعياد.

+ وهكذا صار في الطقس القبطي تلاوة صلاة الشكر هي على الكأس فقط خلواً من أي زمان ومكان، أو نوع القداس.

أمَّا على الخبز فنجد القسمة تأخذ تلاوة وسمة التذكار المتغيِّر، فالميلاد له قسمة والقيامة لها قسمة، كذلك الصوم في كل مناسبة له ما يناسبه في القسمة.

+ مع العلم بأن المزمور الذي يُقال أثناء الدورة: [هللويا هذا هو اليوم الذي صنعه الرب] هو أيضاً مركز صلاة تقديس اليوم، وهذا واضح من لفظه، وكان كذلك في أيام

(11) Oesterley, *op. cit.* pp. 167, 168.

المسيح، وفيه إشارة واضحة إلى الخلاص الذي تمَّ في ذبح الفصح الأول والخروج والاستعداد للسفر الطويل الذي سيواجههم: [يا رب خلّصنا يا رب سهِّل طريقنا].

٦ - كثير من الفقرات الواردة في صلاة الشكر هي شكر على ما تحقَّق من المطالب الغزيرة جدًّا التي كانت تقوم عليها الليتورجية اليهودية، وظلَّت هي المطالب الدائمة حتى مجيء المسيح. فتحوَّلت إلى تحقيق باهر وبدأت الليتورجية المسيحية تأخذ صفة الإيجابية والشكر المتكرِّر على استجابة الله للمطالب القديمة المتكرِّرة - على أن صلاة الشكر هي من وضع الرسل بحسب تلقين المسيح كما سمعوها من المسيح.

٧ - ففي صلاة الشكر تكرار: "صانع الخيرات - الرحوم - على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال - لأنك سترتنا - وأعنتنا - وحفظتنا وقبلتنا إليك (فديتنا) - وأشفقت علينا - وعضدتنا - وأتيت بنا إلى هذه الساعة". هذا ردًّا على الأسئلة والطلبات في وليمة القدوش اليهودية:

[اذكر يا رب شعبك كل بيت إسرائيل، قم أيها الرب الإله وتعالى، وعجِّل، فلنسبِّح أمامك للخلاص، من أجل الصلاح (= الخيرات)، من أجل النعمة، من أجل **الشفقة**، من أجل **الرحمة** في هذا اليوم ... اذكر أيها الرب إلهنا في هذا اليوم **للصلاح**، افتقدنا **بزيارتك** (= بمجيئك) للبركة، **ونجنا**، واصنع معروفاً، وأظهر لنا **رحمة**، لأنك **صالح** (= صانع الخيرات)، **ورحوم** يا الله ملكنا].

فلو دقَّقنا في هذه الطلبات نجدها قد استجيبت بمجيء المسيح يسوع ربنا وتجسُّده وموته عنا ... وهكذا جاءت صلاة الشكر في المسيحية ردًّا إيجابياً لمطالب العهد القديم.

٨ - ولو فحصنا بالمثل البركة اليهودية المعروفة بالبركة رقم ١٧ المسمَّاه بالعبرية: Shemoneh Ezrah نجد أن صلاة الشكر عندنا هي رد على كل مطالبها:

البركة رقم ١٧ قبل المسيح	صلاة الشكر في المسيح
اقبل إليك شعبك	نشكرك لأنك قبلتنا إليك
أعطنا شفقة	وشفقت علينا
جيد يا رب أن تعطي شعبك وتعضِّده	وعضدتنا
وأن تعطينا قوة	وأعنتنا

٩ ـ كما يلزم أن تلاحظ أن صلاة الشكر تنقسم قسمين:

القسم الأول يخاطب الله بصيغة الغائب: [فلنشكر الله لأنه ... إلخ].

القسم الثاني نجده بصيغة المخاطب: [أيها السيد الرب الإله نشكرك ...]

والمهم جدًّا أن نعرف أن هذه الصلاة في القديم العبري كانت تخاطب الله على الكأس بصورة الغائب: "فلنشكر الرب إلهنا"، "مبارك الرب الذي من أجل صلاحه أعطانا طعاماً ومن أجل رحمته وهب لنا الحياة".

هذه النغمة نسمعها ليس من الأسقف ولكن من الشماس الذي يرد هكذا:

١٠ ـ "صلُّوا لكي يرحمنا الله ويتراءف علينا ويسمعنا ويعيننا ويقبل سؤالات قديسيه منهم بالصلاح عنا في كل حين ويغفر لنا خطايانا" ويرد الشعب: "يا رب ارحم"(١٢).

١١ ـ صلاة الشكر تقال في القداس الوصفي على ثلاث مرّات: شكر/ وبارك/ وقدّس. وهي في الحقيقة أصلاً تتعمَّق في معنى البركة (القديمة). فهو في الحقيقة شكر واحد على ثلاث بركات يتم به التقديس.

١٢ ـ هذا التقسيم المثلث نلمحه أيضاً في صلاة الشكر على الكأس في تقديم الحمل:

الأول: البركة الأُولى: تبدأ فلنشكر صانع الخيرات وتنتهي عند الضابط الكل الرب إلهنا.

الثاني: البركة الثانية: تبدأ أيها السيد الرب الإله ضابط الكل وتنتهي: وأتيت بنا إلى هذه الساعة.

الثالث: البركة الثالثة: تبدأ من أجل هذا نسأل ونطلب، وتنتهي: عند أعطيتنا السلطان أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو.

ويُلاحَظ أن بعد كل قسم (بركة) يتوقّف الكاهن ليرد الشعب.

ولكن بالبحث نجد أن القسم الأول هو تماماً القسم الثاني، الأول بصيغة الغائب والثاني بصفة المخاطب. وكما هو مدوَّن في كتاب الجوهرة النفيسة لابن سباع نرى أن القسم الأول هو من نصيب الشماس للتنبيه، وهو إنما يخاطب الله بصفة الغائب. أمَّا القسم الثاني فهو من نصيب الأسقف (الكاهن) وهو الذي يخاطب الله مباشرة.

١٣ ـ وفي قول للقديس يوستين رقم ١ نقرأ أن صلاة الشكر صارت تُقال في بداية الخدمة الصباحية (بدل خدمة اليوم الجديد في المساء).

---

(12) Louis Bouyer, *Eucharist*, p. 81.